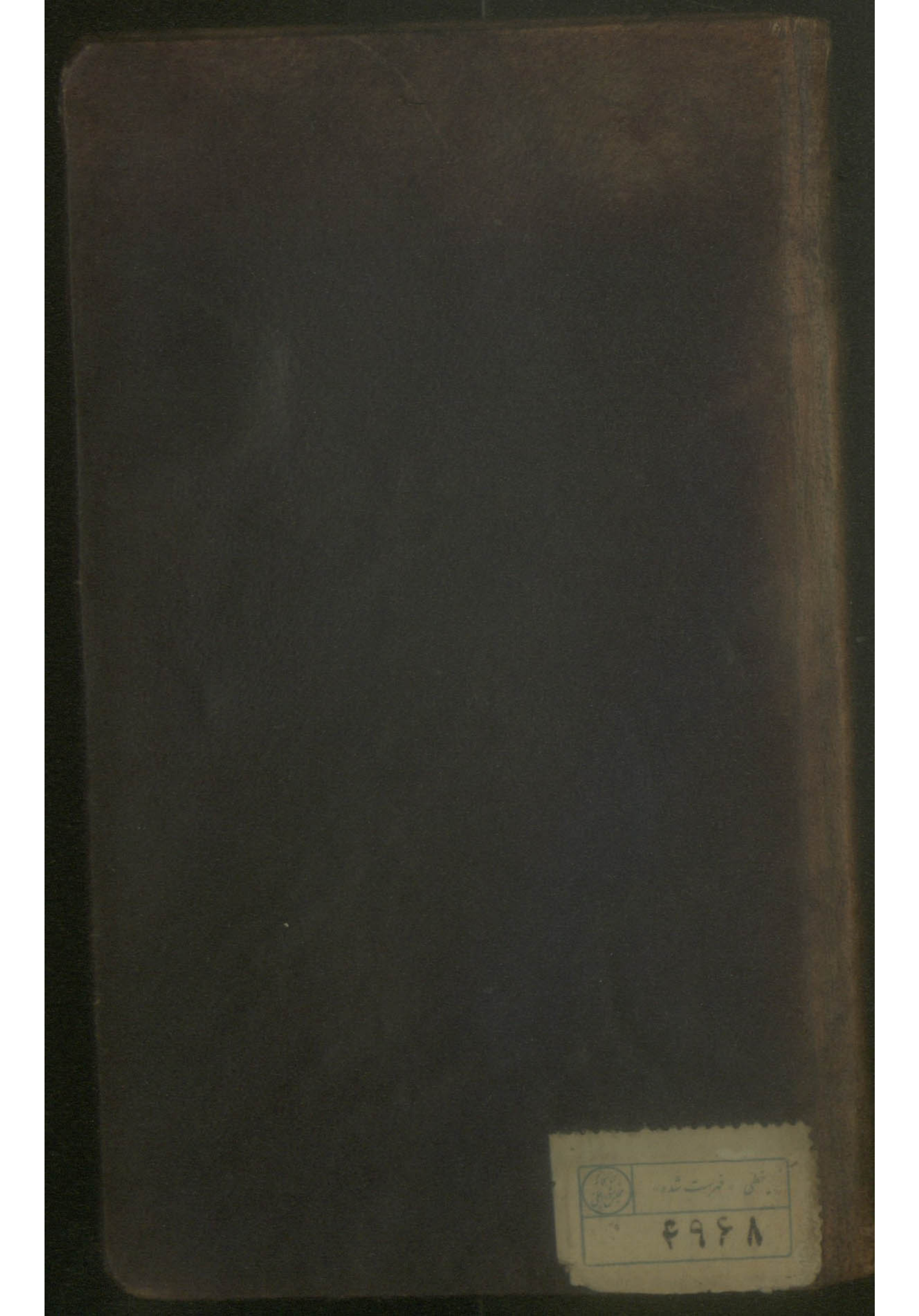
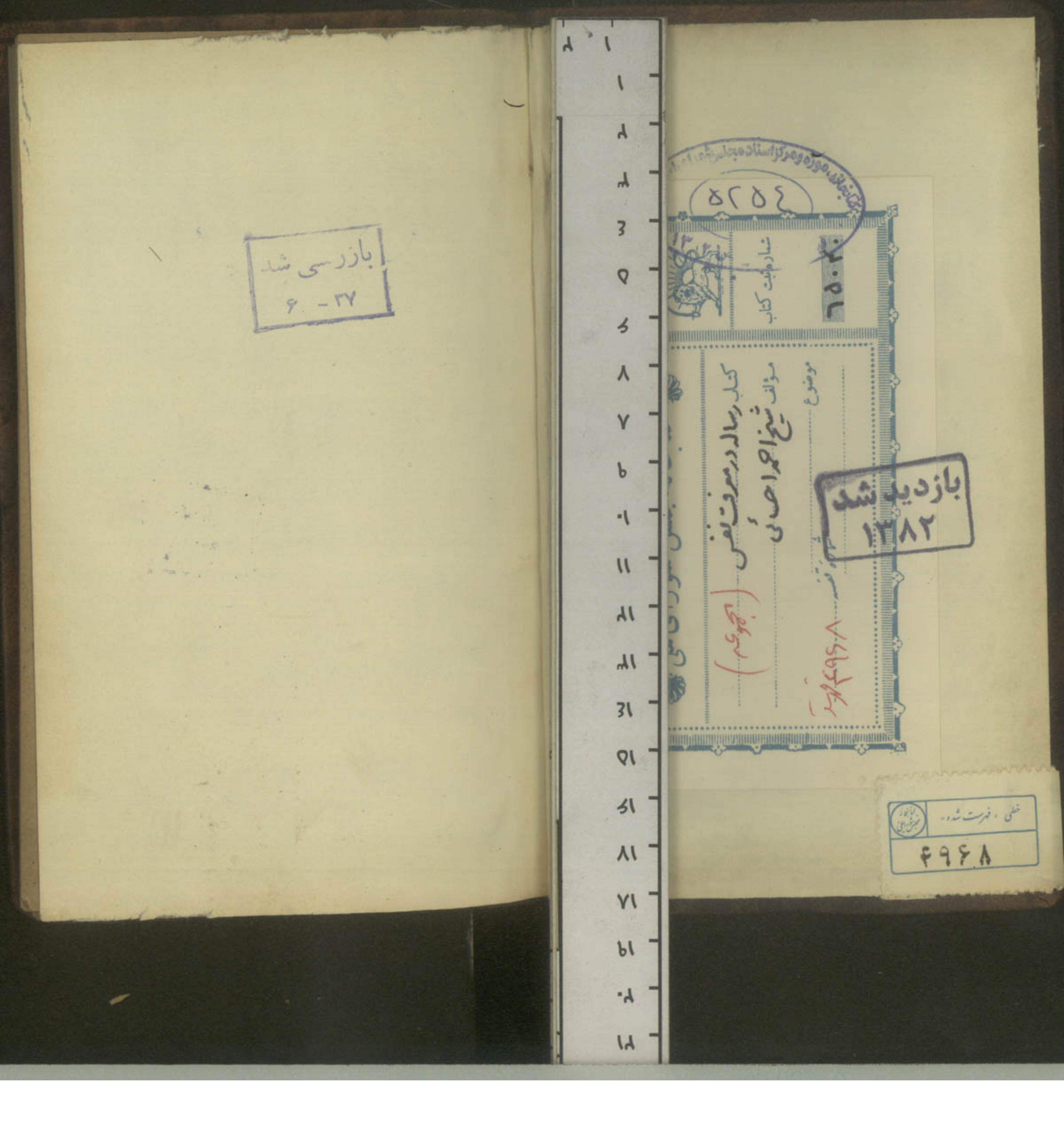
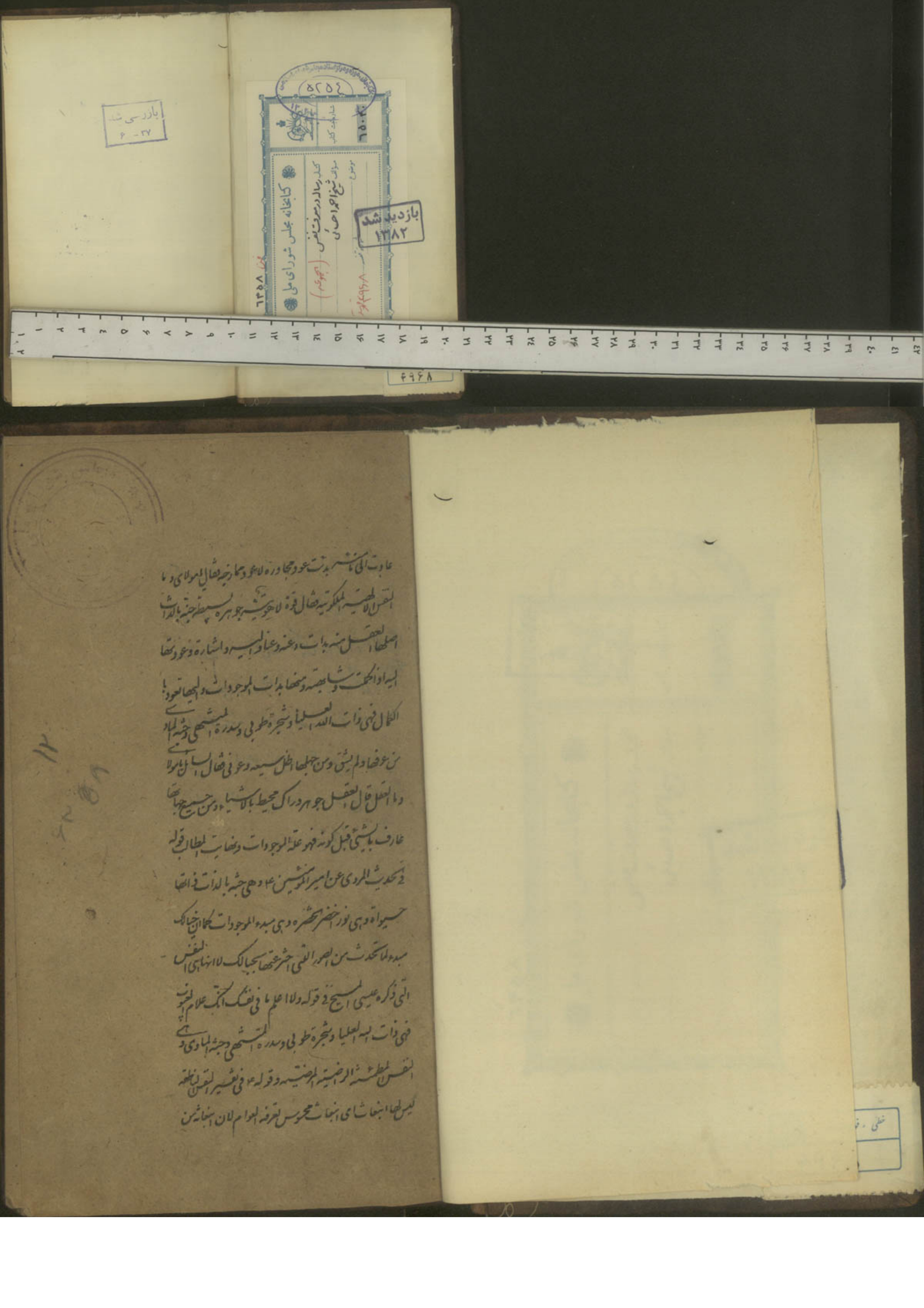

خطی . فهرست شده
۴۹۶۸


بازرسی شد
۶۰ - ۳۷
بازدید شد
۱۳۸۲
خطی - فهرست شده -
۴۹۶۸



عادت الی ما منه بدئت عوداً مجاورة لا ممازجة فقال المولای وما
النفس الالهية الملكوتية فقال قوة لاهوتية جوهرة بسيطة حية بالذات
اصلها العقل منه بدئت وعنه وعت واليه دلت واشارة وعودتها
اليه اذا كملت وشابهته ومنها بدئت الموجودات واليها تعود با
الكمال فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى
من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل سعيه وغوى فقال السائل يا مولاي
وما العقل قال العقل جوهر دراك محيط بالاشياء من جميع جهاتها
عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب قوله
في الحديث المروي عن امير المؤمنين ع وهي جنة بالذات في الحيوة
وهي نور اخضر الخضرة وهي مبدء الموجودات كما ان خيالك
مبدء لما تحدث من الصور التي اخترعتها بخيالك لا انها هي النفس
التي ذكره عيسى المسيح في قوله ولا اعلم ما في نفسك انك علام الغيوب
فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى و
النفس المطمئنة الراضية المرضية وقوله ع في تفسير النفس الناطقة
ليس لها انبعاث اي انبعاث محسوس تعرفه العوام لان انبعاثه من

العلوم الحقيقية اليقينية لان تلك العلوم هي سفر للبدو العقلي المشترك بين
البشرية الذي هو مادة النفس الناطقة ان يقال ليس لها انبعاث كالنباتية
والحيوانية ان العقل وسط الكل في حدث تكميل عنه ان النفوس الاربعة محل
او في منها يدور على ما فوقه وهو قطب فالنباتية تدور على الحيوانية والحيوانية
قطب لها والحيوانية تدور على الناطقة والناطقة قطب لها والالهية تدور
على العقل وهو قطب لها وقطب الكل فهو وسط الجميع ووسط على الاربع سيما لا
بلا واسطة كالالهية والباقي بواسطة وهذه الاربع تدور حوله على

التوالي لا الى جهة بل الى جهة حركة
فعل علته وهذه الجهة حيثما
توجه المعلول فثم تلك
الجهة فافهم
تمت

هو رسالة ابن زين الدين [illegible] الاحسائي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اما بعد
فيقول العبد المسكين احمد ابن زين الدين الاحسائي ان حضرة الجناب
العالي الشان الوثيق الاركان حاوي السلطنتين سلطنة العقل والفهم
وسلطنة الملك والسلطان زينة الزمان وفخر ملوك الزمان والسلطان
وفخر النور اذا استبان سفر المؤمنين بسط الاحسان وبذل كل متردد
فان ظل الله على عباده المؤمنين بالامان وحصنه المنيع ابناء الحائطان
لحوزة هذا الدين عن استيلاء اهل الاديان وحافظ الاسلام والايمان
المحفوظ بعين الملك الديان من شر كل جبار وشيطان من مردة الانس
والجان السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان
السلطان فتحعلي شاه الممدود باللطف من عند الرحمن ادام الله تعالى ظله وخلد
سلطنته وحفظ مهجته والقى في قلوب العباد محبته ورفع على الملوك
اهل الارض رتبته اللهم كما وهبت له حكمتين حكمة الفطنة وحكمة
السلطنة فهب له من فضلك في هذه الدنيا طول البقاء ومكنه في

في ارضك لكاآبته واجعل له عندك حسن اللقاء وتوجه بتاج النصر من عند
ومك القاهر وادم به جمال اهتك الباهر واجعل عاقبة امره الى النعيم
جنة الدنيا ونعيم جنة الآخرة فان ذلك سهل يسير وانت على كل شيء قدير
وبالاجابة جدير آمين يا رب العالمين قد القى الى داعيه الفقير الحقير ابا البصير
والتعبير مسائل علميه تشتمل على فروع كثيره ومطالب دقيقه شريفه تشهد انه لك
انجاب البحث بدقه النظر واستقامة الفكر وقوة المعتبر وتدل على حسن جوهر وصحه
السؤال الذي يشتهر كلام الملوك ملوك الكلام فهذا العبد لذلك يتحير طالع منه اللطف
من الداعي لحسن الهداية وهو شيش الى سواء الطريق وسلامة من التخبط الى
بيانها على جهة التحقيق وشرحها على طور التعميق والله قديم قبقت على
ساق الامتثال على سبيل الاستعجال مع ما في القلب من دواعي
الاشتغال والاشتغال بعنايه سهل والارتحال بما يشيش به المجال سائلا
من الله المدد في الاقوال والافعال انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء
قال ادام الله دولته وخلد سلطنته   اذا فارق الانسان
هذه الدار وقد كان من المؤمنين الاخيار لحقت روحه بالجنه كما دل
عليه ظواهر الاخبار يتنعم فيها فما الذي يتنعم بالجنة هل هي صورة الروح

الروح وحدها ام هي مع مثاله ام هما مع جسمه ايضا فان كانت الروح
وحدها كانت لذتها معنويه كلذة التصور وهذه لذة ناقصة ومثل ذلك لا يكون
فيه ترغيب للمكلفين وان كانت مع المثال كذلك لان المثال صورة برزخيه
لا تقوم الا بغيرها وتقومها بغير الاجسام محال لانها تحت رتبة الارواح فاذا
لم يكن في جسم لم تفد الروح زيادة احساس وان كان ذلك مع الجسم تم
النعيم وحسن به ترغيب المكلفين ولكن المعروف ان الاجسام تبقى في قبورها
رميمه الى ان ينفخ في الصور فيبعث من في القبور ثم التنعم هل هو شبه التنعم الدنيا
ام طور اخر وهل فيها نكاح ام لا وهل نكاح اهل الجنه كنكاح اهل الدنيا ام لا
اقول المؤمن اذا حضره الموت حضره محمد ص وعلي ع وائمة الهدى ع وملك
الموت وجبرئيل فيقول جبرئيل يا محمد صلعم ان هذا ممن يحبكم فارفق به
فيقول محمد ص يا علي ان هذا ممن يحبك فارفق به فيقول علي ع يا ملك
الموت ان هذا ممن يحبنا فارفق به فيقول ملك الموت اني لاشفق عليه
من الام الشفيقه ثم ياتي المؤمن بريح من الجنه يقال لها المنسيه تنسيه الدنيا
واهله وماله ثم ياتيه ريح من الجنه اخرى يقال لها المشوقه تشوقه الى لقاء
الله ثم يكشف له ملك الموت عن بصره فيقول له ملك الموت هذا قصرك

في حجبه فيصعد محمد صلعم واهل بيته فيصعدون في ظل العرش فيقول له ملك الموت هو انا

اوليائك في ظل عرشك تحب ان اهلكك اليهم فيقول عجل بذلك فيظهر له ملك الموت

بصورة جميلة لا يرى مثلها فيراه المؤمن فينجذب اليه روحه تعشقا كانجذاب الحديد

للمقناطيس وورد عن اهل العصمة عليهم السلام ان روح المؤمن حال قبض ملك الموت لها

تخر ساجدة تحت العرش لله تعالى ثم يأذن لها فيأتي الى جسده فيحضره عند

الغسل والتكفين وانها لترى من يبكي عليه فاذا ادخل الى قبره صارت امام جسده

وفي رواية ترفرف على الجنازة ومعنى انها تخر ساجدة انها حال قبض ملك

الموت لها لا تحس بنفسها ولا تشعر ونظيره الانسان حال الدخول في النوم

لا يحس ولا يشعر وحال الخروج منه كذلك الانسان حال الموت وحال البعث

قال صلعم كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون فاذا وضع في قبره وشرج عليه

اللبن والطين اتاه رومان فتان القبور فيقعده ثم يدرج نفسه الى صدره

فيقول له اكتب اعمالك فيقول ليس عندي دواة فيقول ريقك فيقول

ما عندي قلم فيقول اصبعك فيقول ما اعرف اعمالي فيقول انا اذكرك

عملت كذا وفعلت كذا في يوم الفلاني وساعة الفلانية فلا يترك صغيرة ولا

كبيرة الا ذكرها وهو قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

ولا كبيرة الا احصاها ثم يأخذ ذلك الكتاب ويضعه في عنقه فيكون عليه

كالجبل احد وان كان مؤمنا يسير به لانه مملوء حسنات وذلك قوله تعالى و

كل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا فاذا

فرغ رومان فتان القبور اتاه منكر ونكير وهما العبدان الاسودان الازرقان

رأسهما في السماء السابعة وارجلهما في الارض السابعة لطيفان في شعرهما

يخطان الارض خطا بيد كل واحد مطرقة من نار فان كان الميت مؤمنا

حضر عنده علي بن ابي طالب ع ويسألانه عن جميع ما يريدانه وعلي

يلقنه فيقولان له نم نومة العروس نومة لا حلم فيها واعلم ان العبدين

منكر ونكير يأتيان الميت بهذه الصورة الهائلة فان كان مؤمنا كانت

روعته منهما آخر ما يكره وكفارة لجميع ذنوبه وان كان منافقا كان ذلك

اول عذابه فاذا فرغ من الحسنات لحقت روحه بالجنة فاذا اجتمعت

الارواح فيقولون بعضهم لبعض دعوه يستريح فانه خرج من هول فاذا

استراح سألوه عن اهل الدنيا ما حال فلان وما حال فلانة فان قال

قد خرج عن الدنيا فيقولون هوى هوى لانهم لم يروه وان قال تركته

في الدنيا رجوه فاذا كان يوم الجمعة ويوم العيد بعد طلوع الفجر اتتهم

الملائكة لكل واحد منهم ناقة من نوق الجنة وعليها قبة زمردي يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها فيركبوا فيصيح بهم جبرئيل فيطيرون في
الهواء ما بين الارض والسماء حتى ياتوا النجف الاشرف عند قبر امير المؤمنين ع
فيقولوا هناك الى الزوال وعند الزوال يستاذنون جبرئيل في زيارة
اهاليهم ومواضع حفرهم ومعهم ملائكة يبشرون غيرهم من اهاليهم واحوالهم كما يذكرون
حتى لا يرونهم الا انهم يحسون ويفرحون الى ان يصير ظل كل شيء مثله ثم يصيح بهم
جبرئيل فيركبون مطاياهم فيطيرون الى روضات الجنان فيتمرون فيها ونجهم
يا وادي السلام ويزورون قبره واهله كل يوم لقوة ايمانهم ومنهم من لا يزوره
الا في الايام دون ذلك على حسب ايمانهم من القوة والضعف وذلك قوله تعالى
الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهذه جنة الدنيا عند مغرب الشمس ولهذا قال
بكرة وعشيا لان جنات الاخرة ليس فيها عشي ولا غدو ولا بكرة وانما هي
موجود وظل ممدود ولا يزالون كذلك يقولون ربنا عجل قيام الساعة لما نظرهم
مما اعد لهم من النعيم المقيم ولا يزالون كذلك الى ان يجيء ال محمد صلعم فيكرون معهم

منهم لانهم محض الايمان محضا ومعنى انهم محض الايمان محضا انهم عرفوا امير المؤمنين
بالمعرفة النورانية واقروا بجميع فضائله ومعنى معرفة النورانية انهم يعرفون انه
الصراط المستقيم وسبيل الله ورحمته ووجه الله وعينه الناظرة واذنه الواعية
ويعلمون انه من مات عارفا بذلك ممتثلا لامر الله ونهيه يموت شهيدا وان
مات على فراشه وهو معنى ما روي عن الباقر ع ان المؤمن يموت
بتاويل قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون الاولى ايته وقتله انه من مات قتل و
من قتل بعث حتى يموت وقد سئل عن تاويلها فقال ما معناه ان سبيل الله
هو علي والقتل في سبيل الله هو القتل في سبيل علي واصحاب الشمال اي هم
المنافقون على العكس من كل ما سمعت وان ملك الموت يتصور للمنافق
بالخوف صورة تكون بعد ان يحضره محمد واهل بيته فيوصون ملك الموت بان
هذا عدونا فشدد عليه فيظهر له ملك الموت باسوء صورة فاذا راه انجذبت
اليه كانجذاب الفريسة الى الاسد من شدة الخوف وبعد الحساب يضربه
منكر ونكير بمرزبة من حديد قد حميت في النار سبعين سنة ثلث مرات كل ضربة
جسده كالهباء فيعيده بعد ثم يضربه ثانية وثالثة وتلحق روحه بنار الدنيا عند

مطلع الشمس يعذبون عنده طلوعها وعند غروبها يأتي بهم ملائكة العذاب فيسحبونهم بسلاسل
من نار الى عند برهوت في حضرموت من اليمن فيعذبهم والعذابات في لطيف لبعض
الناقصين ورد السيد انه اتاه وعيون ابهر يعذب فيه ولكن سمعت ذلك الاسم ولا
اعلم موضعه ولكن في اليقظة قاعدا مع جماعة ومعنا رجل كبير من العرب فذكر
شخص ما عيون ابهر فقال الرجل هل تعرفون عيون ابهر فقلنا لا نعرف ذلك
فقال هو واد من ناحية الشام وكنا نقرب منه من بعيد وهو منخفض لا يمكن ان
ينظر اليه وله دوي شديد ودخان يصعد منه ولا شك انه من اودية جهنم
ان شكل وادي منها سكانا والشمس عنده ابدا لكن مشهورها انهم اخبروا على الشخص
قدوم عليهم قبل لا في سقر وعيون ابهر ولا كنا نعرف ذلك الا في هذا اللطيف
انه يعذب فيه ذلك الثاني لعنه الله وهو من هذا الجبل الذي وصفه بعد انه
بما دل القرآن بحاليه على صدقه وكان ذلك اللطيف في زمان المكاشفات و
المشاهدات التي ترد علي ولا يزالون يقولون يا ربنا اخر قيام الساعة لما ظهر
لهم مما اعد لهم فيها من العذاب الاليم ولا يزالون كذلك الى رجعة آل محمد فيرجعون
منهم لانهم محضوا الكفر محضا بصورة الموت [illegible] بعد الموت قبل القيامة على
السعداء والشقي عليه المراد بالهداية الى سبيل الرشاد وفا قول قوله الامام

ادام سلطنته ورفع على جميع الملوك رتبته فالذي يحيى بالجنة الى اخر الكلام
ان الذي يحيى بالجنة جنة الدنيا هو الذي يقبضه ملك الموت وهو الانسان
الحقيقي والاصل وجوده مركب من خمسة اشياء عقل ونفس وطبيعة ومادة
ومثال فالعقل في النفس والنفس بما فيها في الطبيعة والكل في المادة والمادة
بما فيها اذا تعلق بها المثال تحقق الجسم الاصلي وهو الغائب في العنصر
المركب من العناصر الاربعة النار والهواء والماء والتراب وهذا العنصري
هو الذي يبقى في الارض ويبقى ظاهره فيها وهو يمرض لطائف الاغذية وانما
قلت يبقى ظاهره في الارض لان باطنه يبقى وهو الجسد الثاني وهو من عناصر
هورقليا الاربعة وهي اشرف من عناصر الدنيا بسبعين مرة وهذا هو الذي
يتنعم لان المؤمن بعد الحساب في قبره يخد له خد الى قبره من الجنة التي في المغرب
يدخل عليه منها الروح والريحان وهو قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة النعيم والذي يشم بهذا الروح هو الجسد الثاني الذي هو العنصري
من هورقليا وهو في باطن الجسد الاول الظاهر الذي هو من العناصر المعروفة
واما الذي يخرج مع الروح فهو الجسم الحقيقي المركب من الهيولى والمثال و
هو الحاصل للطبيعة المجردة والنفس والعقل وهو الانسان الحقيقي وهذا الجسم

جلس جسم الكل وترتبه في رتبة محدب محدد الجهات وقوة اللذة في الاكل
والشرب والملبس واللبس والنكاح بقدر قوة لذة الجسد العنصري سبعين مرة
وهذا الجسم الحقيقي لا تفارقه الروح ولا يفارقها الا بين النفختين فانه اذا
نفخ اسرافيل في الصور نفخة الصعق وهي نفخة الجذب انجذب كل روح
الى ثقبها من الصور وله ستة مخازن فاول دخولها يعني في المخزن الاول
مثالها وفي الثاني هيولاها وفي الثالث طبيعتها وفي الرابع النفس
وفي الخامس الروح وفي السادس العقل فاذا انفككت الطبايع وبطل
فعلها فهي ليست بفانية الا بهذا المعنى ولا ممازجة لان الممازجة انما هي
في النفوس النباتية والحيوانية اما النباتية فلانها من نار وهواء
وماء وتراب فاذا فارقت عادت الى امهاتها عود ممازجة
لا عود مجاورة فتعود اجزاء النارية الى النار ممازجة والهوائية الى
الهواء والمائية الى الماء والترابية الى التراب كل واحد يمازج
امه اتحادا وكذلك النفس الحيوانية فانها اتحدت من حركات
الافلاك فاذا فارقت عادت الى امهاتها عود ممازجة لا عود
مجاورة لانها قوى انبعثت من قوى الافلاك بتقدير حركاتها تعلقت

تعلقت بالطبايع التي في الدم الاصفر تعلق ارتباط والدم الاصفر في العلقة
التي في تجاويف القلب والدم الذي في البدن تقوم بالعلقة والبدن تقوم
بالدم ومعنى تعلقها بالطبايع ان الطبايع البسايط لما تالفت على [illegible]
حرارة ويبوسة وبرودة ورطوبة وكانت معتدلة في الوزن الطبيعي اي
ان تكون الاربعة خمسة اجزاء لان البرودة جزآن حصل منها بخار
معتدل فسكرت عليه الافلاك فاعتدل ونضجه فناسبها فاكتسب من
والقوة الحيوانية بواسطة حركاتها واشعة كواكبها فذلك البخار المعتدل
النضيج بمنزلة الاجزاء الدخانية من الاجزاء الدهنية في السراج اذا فارت
في الاحتراق الدخان وذا الروح الحيوانية بمنزلة استنارة تلك الاجزاء
الدخانية عن النار فكما ان الاستنارة انما هي من الكثافة المنفعلة بالضوء
عن النار كذلك ذلك البخار المعتدل النضيج انفعل بالحركة وبحياة الحيوانية
عن نفوس الافلاك من طبايعها السارية بواسطة حركاتها واشعة كواكبها
فاذا فارقت عادت الى امهاتها عود ممازجة لا عود مجاورة لانها انما انبعثت
من طبايعها التي هي اخص صفاتها فمع المفارقة يرجع كل الى اصله ممازجة
كالقطرة في الماء فافهم واما النفس بعد الموت فتلحقان باصلها

هذا حكم ظاهرهما واما حكم باطن البشابة فانها تبقى في القبور وهي عناصر
هورقليا وتاتيها الروح والريحان من الجنة واما باطن الروح يعود الى فانها
من طبايع العنصر افلاك هورقليا وهي ملحق بالجنة جنة الدنيا كما مر
والحاصل ان الروح لا تنفك عن الجسد الاصلي الا بين النفختين نفخة الصعق
ونفخة البعث فجواب قوله ادام الله تاييده ونصره الروح وحدها مع
المثال ام مع الجسم هو ان الذي يمضي الى الجنة الدنيا الروح مع الجسم
الاصلي لان الروح فيها العقل وهي في الطبيعة والجسم هو الهيولى في
المثال ولهذا كان جسده ولذة ادوى من الدنيا سبعين مرة لان الدنيا
حسية سعورية وعلى هذا الحس ترتيب المكلفين واما الذي يبقى في القبر
فهو الجسد الثاني الذي من عناصر هورقليا واما الذي من هذه العناصر
فانه يفنى ولذلك امثلة كثيرة نذكر بعضها كما مثاله الزجاج فانه من
الصخر والقلي وهما تراكة كثيفان جسد العنصري المعروف عند العوام
فلما اذيب ذهبت منه الكدورة فكان هو نفسه زجاجا شفافا
يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره وهو نظير الجسد الثاني الذي
يبقى في القبر يدخل عليه من الجنة روح وريحان والكثافة نظير الجسد

الجسد العنصري انظر كيف خرج من الصخر والقلي الكثيفين جسدا
شفافا لطيفا وهو ذلك الصخر وهو غيره وهذا الزجاج اذا
اذيب والقي عليه دواء يجمع الجسم في الطبع كان بلورا كما لو
القي عليه دواء الحكماء الذي هو الكثير السياض فيكون بلورا
يحرق في الشمس لانه يجمع الاشعة التي تقع عليه من الشمس وهذا
من الزجاج بل هو غيره بل هو هو وانما اتاه شيء صفاء حتى كان
اعلى رتبة من الاول وهذا نظير جسم الذي يخرج مع الروح
يدخل الجنة المعروف جنة الدنيا وهذا البلور اذا اذيب والقي
عليه الاكسير الابيض مرة اخرى كان الماس هو البلور بل هو غيره
بل هو هو وقد كان صخر الكثيفا فلما اذيب كان زجاجا شفافا
فلما اذيب والقي عليه الدواء الابيض كان بلورا محرقا ولما
اذيب ثانيا والقي عليه الدواء ثانيا كان الماس اذا وضع على
السندان وضرب بالمطرقة غاص فيهما ولم ينكسر واذا ضرب
بالاسرب وهو الرصاص الاسود انكسر حبا مثلثة مكعبة
وكل مكعب اذا كسر بالاسرب انكسر مثلثا مكعبا وهذا علامة

صحة كونه الماسا وكونه الماسا دليل على انه كان مخشبا في حقيقة الصخر لانه
قد تركب من الاصلين المعروفين وهما الزيبق والكبريت على اقرب في
الطبيعي وهذا الالماس المتخلص من البلور المتخلص من الزجاج المتخلص
من الصخر نظير اجسام المؤمنين في جنة الاخرة ومثاله القلعي مثلا
فانه بمنزلة الجسد العنصري الاول المعروف في الدنيا اذا القي عليه الاكسير
الابيض كان فضة صافية وكان بمنزلة الجسد الثاني الذي يبقى في القبر
يدخل عليه من جنة الدنيا الروح والريحان واذا القي عليه الاكسير الاحمر
كان ذهبا خالصا وكان بمنزلة الجسم الذي يخرج من الجسد مع الروح
الذي يحيى بعد الموت بجنة الدنيا فيتنعم فيها واذا القي عليه الاكسير الاحمر
مرة ثانية كان اكسيرا وكان بمنزلة الجسم الذي يدخل جنة الاخرة
وكونه اكسيرا علامة ودليل على انه كان مخشبا في حقيقة القلعي لانه قد تركب
من الاصلين المعروفين وهذا الاكسير المتخلص من الذهب المتخلص من الفضة
من القلعي نظير جسم الاخرة ولذلك امثال كثيرة يعرفها اهل
البصيرة وقوله اعلى الله مقامه ومشابهته ام هل هو مشابه لنعيم
الدنيا ام طور آخر جوابه ان نعيم جنة الدنيا مشابه لنعيم الدنيا بمعنى ان

جميع ما في الدنيا من الفواكه والمطاعم والملابس والاطعمة مشابهة
لما في جنة الدنيا لان تلك الجنة هي الاصل وانما هذه مثال ومذكر وذكرى
للذاكرين وكذلك ما في جنة الدنيا مثال ومذكر لجنة الاخرة والى ذلك
الاشارة بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها وقوله الدنيا مزرعة الاخرة فلا يكون شيء هناك
الا وله مثل آية يستدل بها عليه في الدنيا ولهذا لما سئل الحبر اليهودي
محمد ابن علي الباقر ع من اهل الجنة كيف ياكلون ولا يتغوطون فاجابه
فقال له ما نظيره في هذه الدنيا فقال الجنين في بطن امه يتغذى ولا يتغوط
حتى انه ثبت ان في الجنة اشجارا انبتت نساء معلقات بشعورهن حتى
الله لذلك مثلا وهو ما في جزائر الواق واق فان هناك اشجارا تحمل نساء
احمل مما وجد في الدنيا ولقد نقل المورخون ان بعض المسافرين الى تلك النواحي
دخل في الجزيرة وقطف منها نساء ووقعها ووجد لذة لم يجدها في
نساء اهل الدنيا وذكروا انها اذا رات الرجل او مات اليه بيديها ان
اقبل وتقول في كلامها واق واق ولهذا سميت جزيرتهن جزائر الواق
واق وقوله اعلى الله مقامه ونعيم الجنة تابع لنضرة عطائه بل فيها نكاح

ام الجواب ان تلك الجنة مظهر لجنة الاخرة والدنيا مثال لها فكلما يوجد في
الدنيا يوجد في جنة الدنيا وما يوجد في جنة الدنيا يوجد في جنة الاخرة فكما في
الدنيا والاخرة نكاح ففي الجنة الدنيا نكاح لكن بعض العلماء سئل عن ذلك
فقال الا انها خالية من ذلك وتوقف في الجواب ولكن اقول ان الاولى
مصرحة بذلك تبيانا ما اشار اليه بقوله ص الدنيا مزرعة الاخرة وقوله تعالى كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها
ويدل على ذلك من الادلة ان ادم وحوا خلقا في الجنة وسكنا فيها ونكح فيها و
كذلك في رواية المفضل ابن عمر الطويل في الرجعة قال في اخره بعد ذكر
ان المؤمنين يكونون في نعيم بعد قتل ابليس وجنوده ولا يموت الرجل
حتى يرى من نسله الف ولد ذكر قال ع وعند ذلك تظهر جنتان
مدهامتان هي جنة الدنيا لا جنة الاخرة وقوله عند مسجد الكوفة يريد بها النجف
الاشرف لانه هو الذي ياوي اليه الارواح من جنة الدنيا فالنجف قطعة
من تلك الجنة في الظاهر واما في الباطن فالجنة التي في المغرب التي تاوي
اليها الارواح قطعة من النجف الاشرف فتظهر الجنة في اخر الرجعة في
النجف الاشرف وهي الجنتان المدهامتان اللتان ذكرهما في القرآن

في القرآن وفيه فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في
الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان الخ والى ان
هذه الجنتين المدهامتين من جنة الدنيا الاشارة بقوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان يعني في الاخرة ثم عطف على الكلام فقال ومن دونهما اي
من دون جنتي الاخرة اي لمن خاف مقام ربه جنتان مدهامتان [illegible] جنان
من دون جنتي الخلد اي من قبلهما فمعنى دون قبل باعتبار واسفل باعتبار
لان جنتي الدنيا اول من جنتي الاخرة في الرتبة والشرف وغير ذلك وهذا
المعنى وان لم يذكره المفسرون الا ان اهل العصمة ع نبهوا على ذلك من كان له
حياة هو من القى السمع وهو شهيد نعم جنة الدنيا هي ظاهر جنة الاخرة ونار الدنيا
هي ظاهر نار الاخرة والى ذلك اشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فقال في حكم الجنة
الى ان قال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني جنة الدنيا ثم قال تعالى تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا يعني في الاخرة فدل على ان
جنة الدنيا هي التي تورث في الاخرة وقال في حكم النار وحاق بآل فرعون سوء
العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة اجمع القراء على الوقف
الساعة وعلى عدم الوقف على عشيا فقال يعرضون عليها غدوا وعشيا

يعني في الدنيا وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يعني في الآخرة فكانوا يعرضون
على النار في الدنيا غدوا وعشيا وفي الآخرة يوم تقوم الساعة وهذا ظاهر لمن
تدبر وقوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب كلام مستأنف وقوله [illegible]
[illegible] هل نكاح اهل الجنة كنكاح اهل الدنيا ام لا
جوابه ان الادلة السابقة تدل على ان نكاح اهل الجنة كنكاح اهل الدنيا
بهيئته المعروفة الا ان اللذة في جنة الدنيا بقدر لذة نكاح الدنيا
سبعين مرة ولذة نكاح اهل جنة الآخرة بقدر لذة النكاح اهل الدنيا
اربعة آلاف مرة وتسعمائة مرة سئل الصادق ع عن نساء اهل الجنة
كيف يبقين ابكارا فقال ع ما معناه انهن اذا اتاهن المؤمن لم يكن
لفروجهن فرجا الا مولج الذكر خاصة ولم يكن زيادة فيدخل الهواء في
الفرج بخلاف نساء اهل الدنيا فانه اذا دخل فيهن الهواء فسدت البكارة
وهذا المعنى عينه اصرح في ان نكاح اهل الجنة كنكاح اهل الدنيا ووجه آخر
انهن لما كانت ابدانهن في كمال اللطافة وكانت فرج الحورية اذا
اخرج ذكر زوجها التئم فرجها كالماء اذا دخل اصبعه فيه ثم اخرجه اجتمع
كمثله قبل الادخال وليس ذلك لان الحور مهن ... ولكن لان ...

اجسامهن حية لا يموت فيها ولشدة صفائها فقد روي عنهم عليهم السلام
ان المؤمن اذا جامع حورية يرى وجهه في صدرها وترى وجهها في صدره
وروي عنهم عليهم السلام انه يرى مخ ساقها من خلف سبعين حلة تبقى
سؤال ينبغي التنبيه عليه وهو ان قد روي عنهم ع ان الحورية عرض
عجزها الف ذراع والزوج في الجنة يكون بقدر ابينا آدم ع وهو ستون
ذراعا بل قيل ثمانون ذراعا فكيف يتوصل الى نكاح الحورية التي عجزها
الف ذراع الجواب انه قد علم من ضرورة الدين ان اهل الجنة لهم
فيها ما يشاؤن وان الاشياء تجري على حسب ما يخطر ببالهم فاذا اراد
مواقعة مثل هذه الطول اتته على قدرها حال الفعل واذا فرغ رجع على حالتها
الاولى بعد الفراغ ذلك تقدير العزيز العليم وهو تأويل قوله تعالى قدروها
تقديرا واذا اراد ان يكون هو بقدر الحورية كان كما يشاء وبقي شيء آخر
يتعلق بهذا الفرع هو انه قد ورد عن اهل العصمة ع بينما المؤمن في قصره
في الجنة اذا راى النور يلمع في قصره فيستطير واذا قد اشرقت صورة زرانا
كما يرى احدكم الشمس فيضطرب فيقول من اين ذلك فاني يا رب جبيبك قصور
اما من الذي قال الله تعالى ومن لدينا مزيد فتنزل اليه فيجامعها اربعمائة

ثم تغير فان لا عين له تالله وتبسها المؤمن في قصره اذا رأى نور امتلأ في
قصره فيظن انه نور الرب قد تجلى عليه فينظر واذا اقدار رقت عليه صورة
يراها الكاري احدكم النجم فيضطرب فيقول من انت فاني رايت
حسنى بك فيقول انس الذي قال سبحانه الذي فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين فهم ان يقوم اليها فيقول لا تقم يا ولي الله اما لك
فنزل اليه فقال فيشعفها اربعة ماية سنة في شوب شباب ثم تغير فان
لا عين له ولا اذن في هذا السؤال الاشارة منها انه كيف يجامعها اربع ماية
سنة وقد خلق الله ابن ادم اجوف لا يستغني عن الطعام والشراب
كما هو معلوم بالوجدان والاخبار والجواب انه في حال جماع حوريه
ياكل منها كل فاكهة وكل طعام ويتعلم منها كل علم ويحصل لهما
كل قوة لانه يقطف من خدها اذا قبلها كل ورد وريحان وكل فاكهة
من فواكه الجنان ومن فمها اذا قبلها كل شراب وكل طعام ومن
موضع الجماع كل قوة ونشاط وحدة كما يتغذى الطفل من امه من سرة
النشاط والقوة والحدة كما ذكره صاحب عين الحيوة وهو كتاب
في الحكمة ذكر فيها الاشياء التي تطيل العمر وتقوي الحرارة الغريزية ويزيد

ويزيد في العمر ومنها جماع الشابة الحسنة المحبوبة فانه يقوي الحرارة الغريزية والى
ذلك الاشارة بتأويل قوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان فهو في حال الجماع
ايضع في تحصيل ما ذكر من جميع احواله لاحاطة الزيارة عند مليك مقتدر والى ذلك
الاشارة بقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هو قوله تعالى فاكهون
بالعطف اشارة الى ما ذكرناه فروي عنهم ع في شغل بافتضاض الابكار وبالجملة
فهذا الجواب بالتلويح وهذا التفصيل بالاشارة ومنها انه كيف يكون بها وقد
ورد ان قصور اهل الجنة من ياقوت حمراء وزمردة خضراء وزبرجدة وزبرقا ودر
ابيض وكل ذلك يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره وان كان من ذهب
وفضة فكذلك لان ذهب الجنة وفضتها شفافة كذلك والى الاشارة بقوله
تعالى قوارير من فضة فاذا كانت قصورهم كذلك كيف يمكنه الجماع فان
اهل الجنة يرونهم لعدم الحجاب والجواب انه روي عنهم ع انه اذا اراد المؤمن
الجماع نزل عليه من الحورية نور يغشيها ويحجب عنهما بصر كل ناظر الا انفسهما
حتى يفرغا وهذا ظاهر ومنها انه قد ورد ان اهل الجنة اخوان على سرر
متقابلين لا ينظر احد في قفا صاحبه وظاهر ذلك انه في جميع الاحوال
فاين وقت الجماع والجواب اما في الظاهر فان المراد بتلك المقابلة لا حال

غير حال الجماع لان ذلك شيء واما في الباطن فلان المؤمن في الجنة اذا لم
تجمع بين فعال الروح وفعال الجسم فكما انك في الدنيا تاكل وقلبك
متوجه الى شيء اخر غير الاكل وكذلك في الجماع فهذه الحالتان تحصل
لروحه وجسده معا وتكون هذه الحالتان له فهو مع الحورية ومع اخوانه
اذا شاء ظهر لهم بصورته وهو مع الحورية تحقيق كما كان علي عليه السلام والائمة
عليهم السلام يفعلون يكونون في امكنة متعددة لا يغفل احدهم منها الا انهم
الان في الجنة ومنها اذا كان المؤمن كذلك فكيف يجمع بين هذا
وبين ما ورد في تفسير قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا
فانه ورد معناه ان الملائكة المقربين يأتون الى قصر ولي الله فيحجب من نور
يستأذنون عليه بان الرب يدعوه للزيارة فيضربون حلقة باب القصر
فيطن ويقول يا علي فيقول البواب من في الباب فيقول الملائكة نحن رسل
الرب الى ولي الله نستأذن في الزيارة فيقول هو اخي استأذن عليه فيضرب
حلقة الباب فيطن فيقول يا علي فيقول البواب الاخر من الباب فيقول
له البواب الاول ان الملائكة المقربين يستأذنون على ولي الله للزيارة
فيقول قل لهم يقفوا وكذا حتى يبلغ الى الاخير فيقول ان ولي الله مع زوجته

زوجته الحورية فيقف الملائكة ما شاء الله حتى يفرغ فيأذن لهم فيدخلون
عليه من الباب بعد رفعه ويسلمون عليه ويقولون ان ربك يدعوك للزيارة
الى اخره وهو قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار فاذا كان المؤمن كذلك فكيف يشغل عن الملائكة بالحورية
لم لا يكون معهم وهو معها فقلت لو شاء لامكن وهو يحصل عليه ولكن في
ذلك اظهار السلطنة الكبرى والملك العظيم بان الملائكة المقربين يقفون
على بابه ازلعمارية حتى يفرغ من جماع زوجته وذلك قوله تعالى واذا
رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فقد روي ما معناه ان الملائكة تأتي ولي
الله كل جمعة بركاب من النور وتقول للمؤمن يا ولي الله ان ربك يدعوك
للزيارة وتطير به تلك الركاب حتى يأتي ربه فيعطيه ضعف ما عنده حتى
انه ليقول يا رب لا حاجة لي بما لك فيقول بلى رضاي عنده ولا يزال
كل جمعة يركب ويعطى ضعف ما اعطى من المضاعفة ولا انقطاع كذلك
ولا نهاية وهو الذي ما في الجنة من الرب هو الصاحب والولي والمرقي
والمراد محمد صلعم او علي عم ويجوز ان المراد بالرب هو المعبود سبحانه و
معنى زيارته زيارة محمد صلعم فان من زارهم فقد زار الله من اطاعهم

فقد اطاع الله ومن عصاهم فقد عصا الله فاقرب هذا المعنى وتقابل باب الدار الى
صاحب الدار فاذا كان في كل جمعة يركب الفرس للزيارة فكيف يكون الجمع بينه
في مرة واحدة ارى لعياشية والجواب ان المراد بالجمعة مقدار ما بين الجمعة الى
الجمعة من جمع الاخرة وهي سبعة ايام بقدر سبعة الاف سنة من سني الدنيا
كما دلت عليه القرآن ووردت الروايات بان اليوم كالف سنة من سني
الدنيا والساعة منه قدر ثلاث وثمانين سنة وخمسة اشهر والحالة التي يكون
فيها من الحورية خمس يوم من ايام الاخرة وهي قدر اربعمائة سنة من سني الدنيا
فالسنة من الاخرة ثلثمائة وستون الف سنة من سني الدنيا والشهر ثلثون
الف سنة وهكذا وليس في الجنة ليل ولا نهار وقال الله تعالى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا وانما هو نور موجود وظل ممدود ونعيم مراتب اهل
الجنة زيد في الحسن والجمال والجدة والشباب بعكس الدنيا كل وقت على
سبيل التدريج سيان لا تحكذا فاذا مضى عليهم قدر اثني عشر الف الف سنة
من سني الدنيا صعدوا الى الرفرف الاخضر الى الكثيب الاحمر ويكونون فيه
قدر اثني عشر الف الف سنة من سني الدنيا ويصعدون الى الاعراف والى
مقام الرضوان فلا يزالون فيه ابد الابدين بلا غاية ولا نهاية يزدادون شبابا

شبابا وجدة وجمالا وملكا وحورا وحسنا وكل مقام صعدوا اليه كان اعلا
من الاول بمثل الفرق بين نعيم الدنيا والاخرة يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة
مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما
كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما اللهم ارزقنا
الجنة يا كريم قال الامام السيد في شرحه ما السبب في الاحوال المختلفة التي
تتعاقب على الانسان فمرة يسر ولا يعلم سبب السرور وتارة يحزن ولا يعلم
السبب وتارة يقبل على الطاعات وتارة يقبل على المعاصي وقد يقف فلا
سرور ولا حزن ولا اقبال على طاعة او معصية وايضا هذه الطاعة التي
يقبل عليها ان كانت من ذاته فماله في بعض الاحوال يقبل على المعصية وكذا
المعصية وان كان من غيره فلا ثواب له في طاعته ولا عقاب عليه على معصيته
لانه ليس بمقصر اقول اما السبب في ان الانسان يحصل له سرور ولا يعلم
السبب او يحصل له الحزن ولم يعلم السبب فقد اشارت الاخبار من الائمة
الى ذلك منها انه روى ما معناه ان الامام عليه السلام يدخل عليه السرور
لاعمال صالحة وقعت من بعض شيعته فاذا دخل عليه ذلك دخل على كثير

من شیعته فی شرق الارض وغربها وبیان ذلک ان الشیعة التامة الشیعة
لا تخلو من شعاع امامهم او من شعاعهم لهم فعلی الاول یکون الامام بمنزلة الشمس
من صفاء ذاتی کجوهره نوره او عرضی کصفاء الهواء فانه یزید فی نوره الشمس وکذلک
اذا قلنا انه من الشعاعیة فان ما یدخل علی الشمس من الانطفاء والانقباض
یدخل علی الشعاع ولا ریب فیه وانما قلنا علی کثیر من شیعته لان بعض الشیعة
قد لا یحصل بذلک والا فانه یدخل علی الکل اشارة وعدمها ثم لهذا
وجهان احدهما دخول السرور علی الامام ع من عمل مؤمن الطاعة والحزن من
عمل المعصیة مع ذلک بل الامام بلا واسطة اما رجوع اثر الطاعة والمعصیة فلا
یتحقق من العامل الا بعد العمل مع العمل ویرجع السرور الی الامام حینئذ قبل العمل
اذا عمل العامل لا قبله واما الواسطة فتحقق من یکون ذلک بالواسطة [illegible]
والواسطة کالائمة ع فانه وسائط بین الامام وبین الائمة ما ینشیهما اهل [illegible]
اسباب السرور والسرور من الامام ومبادی اسباب الحزن والحزن من [illegible]
الامام لا بظاهر ان ذلک منه السرور جهة سببه وسیده من جهة عمل الامام ع
وان الحزن سببه تخلیة الامام ع للعبد فی المعصیة وعدم تکلمه واعانته حتی
واقع ذلک العبد المعصیة ولو ان ذلک عنه لما عاد الیه فی فهم معناه انه

ومنها انه ما من مؤمن فی شرق الارض وغربها الا وله اخ مؤمن بعمل کعمله و
یفعل کفعله حتی انه لیختار من الدنیا ما یختاره اخوه لشدة المشابهة بینهما وان کان
احدهما من اهل الجنة کان الآخر معه فی درجته لانه خلق من الطینة التی خلق منها
الآخر واذا دخل علی احدهما فرح او حزن دخل علی الآخر وان کان بینهما بعد
المشرقین لان المؤمنین کالجسد الواحد اذا تألم منه العضو تألم منه العضو الذی
یقرب منه او یتصل به وهو ظاهر ومنها انه روی عنهم ع ان الا[illegible]
اذا فتحت صحائف حسناته فی وجه نفسه دخل علیه السرور وهو لا یعلم
واذا فتحت صحائف سیئاته فی وجه نفسه دخل علیه الحزن وهو لا یعلم
والسر فیه ان الحسنات اذا شاهدتها النفس انبسطت لان الحسنات نور
ووجود وحیاة فتقوی بذلک النفس وتنبسط وهو السرور ومحله جلدة
البطن فاذا شاهدت السیئات انقبضت لان السیئات ظلمة وعدم وضعف
وممات فتضعف بذلک النفس وتنقبض فی القلب فان کان لما مضی
یسمی غما وهو ضغط القلب لاجتماع النفس الحیوانیة فی القلب عن الآثار
الدنیة الصوریة فیما مضی وان کان لما یستقبل سمی هما وهو القلب وهو ضد
من الغم لانه ذوبان وقلق لشدة اجتماع النفس الحیوانیة فی القلب یقوم [illegible]

الامر المقصود فيما يستقبل واشتغاله به والغم والهم بما يحزن وذلك
للمعصية واما وجه اقباله على الطاعات في بعض الاحيان فاعلم ان الانسان
خلق من ماهية ووجود والوجود قبل اجتماعه بالماهية صورته صورة ملك
من الملائكة العلويين والماهية قبل اجتماعها بالوجود صورتها صورة شيطان
وهو شيطان من سكان السجين فتركت تلك الصورة العالية وصعدت
تلك الصورة فلما اجتمعا ظهر بما لما بينهما من جاذبة كل واحد منهما الى الآخر
في الظهور والتشابه كل واحد منهما بالآخر في تعاكس الجهات والاطوار والشؤون
مثلا اذا ارتفع الوجود عشر درجات انحطت الماهية عشر درجات واذا
مال الوجود الى كل كمال مالت الماهية الى كل اجرام وكل شيء منه يقابل ضده
منها فلما اجتمعا كان الانسان منهما اي من المظهرين الوجود وهو سلطان
الحاكم على الخيرات والعقل وزيره والماهية هي السلطان الحاكم على الشرور
والنفس الامارة وزيرها ومعنى كون الوجود سلطان الخيرات ان الخيرات
من جنسه واستعداداته وجنوده ومعنى كون الماهية سلطان الشرور لذلك
انها من جنس الماهية واستعدادها منها وجنودها منها فلما كان الانسان مركبا
من الوجود الذي من النور والماهية التي من الظلمة كان له ميل الى

ميل الى الطاعات والخيرات من جهة الوجود وله ميل الى المعاصي والشرور
من جهة الماهية واصل هذا الوجود في الملأ الاعلى صورة ملك مع الملائكة
واصل هذه الماهية في الملأ الاسفل صورة شيطان مع الشياطين فاذا قوي
له العقل طلبه العقل لسلطانه من جهة الطاعة ومعه ملائكة تعينه وطلبه النفس
لسلطانها من جهة المعصية ومعها شياطين تعينها فان مال الوجود
اصلي مع العقل قوي على النفس وجنده غلب فعمل العبد الطاعة وان مال الماهية
واصلها مع النفس قويت على العقل وجندها غلبت فعمل العبد المعصية
فمعنى اقبال العبد على الطاعة ان عقله يستعين بالوجود الذي هو السلطان
ويغلب النفس الامارة وكذا معنى اقبال العبد على المعصية ان نفس الامارة
تستعين بسلطانها وتغلب العقل وقد قلنا ان الانسان مركب في اصل
خلقته من الوجود والماهية فاذا قلنا السبب في ميل الانسان الى الطاعة
ان صورته التي مع الملائكة تعمل ذلك العمل وهي موجودة مع الملائكة
وتلك الصورة هي اصل الوجود الذي في الانسان بل هو تربيته بمعنى
ان الوجود واعان العقل وجنوده على فعل الطاعة فغلب جندها واذا قلنا
السبب في ميل الانسان الى المعصية ان صورته التي مع الشياطين تعمل

ذلك العمل وهي موجودة مع شياطين وهي الاصل الماهية التي في الانسان
بل هو بدنه بمعنى ان الماهية اغاثت النفس وجنودها على فعل المعصية
ومعنى عمل الوجود ولذلك العمل في عالم الاسرار هو اعانة العقل في عالم الانوار
على الطاعة وفعلها في عالم الملك ان الوجود واذا لم يعمل لم يقدر العقل على
العمل لان اصل العقل والعقل انما تقوم به وعمله هو امداده بالالطاف الى
العقل لان كل شيء عمله بحسبه ومعنى قولنا ان الموجود اذا لم يعمل فهذا به
الملائكة لانه لا نسبة له الا بالعمل وكذلك الماهية في مقامها فافهم
فقد رددت في العبارة كثيرا لاجل الافهام فان صعب عليك ذلك
فاعلم انه ليس لنقص في التفهيم ولا لضعف في فهم الناظر ولكن لصعوبة
هذا المطلب فعليك بالتأمل والتدبر فيه حتى يفتح الله عليك وهو خير
الفاتحين وهذه الاشارة كافية لما نطلب لاشتمالها على كل معنى الا حرفا
واحدا وهو الذي امر بكتمانه وهو سر الخليقة وحقيقة الكون لا لكن شيء وقوله
لوام لم يقابله في استيع عليه عطاؤه ان كان الاقبال على الطاعة من
ذاته فاما لانه يقبل في بعض الاحيان على المعصية وان كان من غيره فلا ثواب
له ولا عليه جوابا ان ذلك الاقبال والميل من ذاته في الحالين لان

لان ذاته مركبة من وجود يميل الى الطاعة بطبعه وهو من ماهية يميل الى
المعصية بطبعها وهو الفاعل للميل الى الطاعة والى المعصية من ذاته لا من غيره
فالثواب له والعقاب عليه لانه مقصر قال ابقى الله حجته والعوام سلطته
بل لاهل الجنة التزويج باكثر من اربع نساء ام ليس لهم الا الاربع كما هو حال
اهل الدنيا اقول ان الاربع انما هو لهذه الامة بالعقد الدائم ولهم
بالشأن بالمنقطع وملك اليمين ولم يكن هذا التقدير في الامم الماضية
لشدة الاعتناء بهم من الله لانهم خير الامم فاقامهم على الاستقامة والعدل
فرض عليهم القسمة من الزوجات بالعقد الدائم رحمة بهم اليسر ولا يريد
بهم العسر فقلل عددها ليحب فيه العدل لان كل ما زاد صعب العدل فيه
وانما حصره في الاربع لمراعاة الكمال لمطابقة الظاهر والباطن والصفات
للذوات وذلك لان ادوار الوجود واكواره اربعة ولانهم رتبة من
مراتبه الادوار اربعة فحصر الزيادة فيها لتلك المطابقة تسهيلا لشأنهم والمراد
الكمال ولهذا قال تعالى وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة لعدم الخوف فيها في القسمة
او ما ملكت لعدم القسمة والعدل في ذلك لانهن مستأجرات واما الامم
الماضية فلم يكونوا اهلا لشدة الاعتناء بهم لعدم قابلية ذواتهم وانما ال

فلا يجري الا من جدهم واما نبينا محمد صلعم فلانه على شريعة ابيهم ا

قال الله تعالى في حقه ما كنت بدعا من الرسل وقال الله تعالى سنة الله في الذين

خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله

ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ولم يكونوا لعدم الموارد به ولعدم اراده

ذلك منه قال الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن

ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ولما كانت هذه الدار دار

التكليف المقتضي الاختلاط والاعوجاج وعدم الاستقامة جرى عليهم فيه

صلاحهم لا ما يشتهون والآخرة لهم فيها ما يشاؤون لعدم الاختلاط المقتضية

الاعوجاج بل جميع ما يشتهون موافق للحق لاستقامة طباعهم فلهم ان

ينكحوا من شاء وهذه الاثرة من الامم الماضية واما رجال الامم الا

غير الانبياء والاوصياء والاولياء فالذي يخطر بالبال انهم ليس لهم

ان يأخذوا من هذه الامة اشرف من الامم الماضية فان قيل اذا

كان انما نهوا من الزيادة على الاربع لمصلحتهم فلعل ذلك جائز في الآخرة

وان كان لهم ما يشاؤون ولكنهم لا يشاؤون الا الاصلح قلنا ليس كل اصلح

في الدنيا اصلح في الآخرة بل قد ينعكس فان الاصلح في الدنيا المنع من

المنع من شرب الخمر والتحريم لبس الحرير والذهب للرجال في الآخرة

بالعكس مع انه لا مانع من الزيادة على الاربع الا خوف عدم العدل

ولهذا يأخذ اربعة آلاف بالمقطع والملك وهذه العلة تزول في

الآخرة من جهة الرجل لعدم تجويز هناك وعدم ارادة الباطل ومن جهة المرأة لعدم

الغل والحسد والغيرة من جهتين فجميع الموانع الدنيوية منتفية في الآخرة

فيجوز لهم الزيادة لوجود المقتضي وعدم المانع ولو سلمنا المنع بالدائم فلا

على الدنيا اجزناه بالمقطع وما ورد بان اقل ما يعطى احد في المؤمنين من الحور

غير النساء ات من الاشجار فالمراد به اقل مراتب المؤمنين ولعل ذلك

لضعف ايمانه لا يشتهي اكثر من اثنين من عليين وان اشتهى من

النساء ات كثير الى ذلك الاشارة بقوله ع ما زاد احد حبا في

ولايتنا الا ازداد حبا في النساء والولاية هي المحبة ولهذا قال صلعم

لمن سمعه يقول اللهم ادخلنا الجنة قال ع لا تقل هكذا انتم في الجنة ولكن

اسئل الله الاخير حكم منها ان المحشر هي ولايتنا ففرح المعنى الى ان

المفهوم من لم يزدد حبا في الجنة لم يزدد حبا في النساء فيستفاد منه بالا

الحشر لا تريد الزيادة وليس للحبس ارادته بل لان ذلك غاية

ميل ذاته وقابليته وهذا ظاهر فان اختلاف الخلق انما كان لمقتضى القابلية
لا لقلة المقبول مثاله الشمس اذا اشرقت على الارض كان الشعاع
المنعكس على المرآة اشد من انعكاسه عن الجدار مع ان الشمس لم تعط
المرآة اكثر مما اعطت الجدار ولكن اختلفت لاختلاف القابلية والعلة
في قلة اشتهاء اخذ النساء وكثرته ان المرأة خلقت من بقية طينة الرجل
فمن خلق من بقية طينة واحدة اخذها وان كان اثنين اخذهما وان كان
اكثر اخذهن واما النبات فان الاشجار التي تحمل النساء مخلوقة من بقية طينتهن
اي من فاضل طينة النساء والنساء فاضل من طينة الرجل فكثرت الاشجار
وان كانت من واحد لان الثمار تكون كثيرة لذات واحدة وهذه
الاشجار تحمل نساء معلقات بشعورهن في تلك الاشجار فاذا رآهن المؤمن
كل واحدة تدعوه الى نفسها فاذا اخذ واحدة ثبت محلها اخرى سبحان
من لا تنقص خزائنه ولا ينقص فضله ولا يقل عطاؤه لا اله الا هو اليه المصير
الى هنا انتهى الجواب الملازمة لحضرة المحترمة السلطانية من الله وكيل الظل
الظليل على البلاد ورحم سبحانه على العباد على يد الداعي لحضرت السلطانية
بدوام اقبال الامام العبد المسكين احمد ابن زين الدين ابن ابراهيم الاحسائي

في اوايل شهر رمضان سنه ثلاث وعشرين بعد المائتين والالف
من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل الصلوة وازكى السلام والحمد لله رب العالمين

قد تمت الكتاب بعون الملك الوهاب
في صبح يوم السبت سابع عشر شهر
ربيع الثاني ... عشر شهر سنه ... [illegible]
سنه ثلاث وستين بعد المائتين والالف
من الهجرة النبوية على هاجرها السلام
... [illegible]
... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة
بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله من
الشرف والفضائل وما منحه وأعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة
وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فإني لكذلك إذ أقبل ابن
أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد
جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز
الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل أحواله فقال له صاحبه إنه كان فيلسوفاً
ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها
الأحلام وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير
فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجاً
فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان

والمواضع

والمواضع التي انتهت إليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته براً وبحراً
سهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرات مردداً في الأذان والإقامة ليتجدد
في كل ساعة ذكره ولئلا يخمل أمره فقال ابن أبي العوجاء دع ذكر محمد صلى الله
عليه وآله فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره فكري وحدثنا في ذكر الأصل الذي
يمشي به ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير
ولا صانع له ولا مدبر بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت
الدنيا لم تزل ولا تزال قال المفضل فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً فقلت يا
عدو الله ألحدت في دين الله وأنكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في أحسن
تقويم وصورك في أتم صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت
فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار
الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه
لك لائحة فقال يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك فإن ثبتت لك حجة
تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق
فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادل فينا ولقد سمع من كلامنا أكثر مما
سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وإنه للحليم الرزين العاقل

ترف: التجاوز عن الحد
دحض: أي الباطل

الرضيعين لا يعتبر خرق ولا بطش ولا ترف يسمع كلامنا ويصغي إلينا
ويستعرف حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قد قطعناه دحض
حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا
فإن كنت من أصحابه فكلمنا بمثل خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد وأنا
مفكر فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها فدخلت على
مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا فقال ما لك فأخبرته بما سمعت من
الدهريين وما رددت عليهما فقال يا مفضل لألقين إليك من حكمة الباري
جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام و
كل ذي روح من الأنعام والنبات والشجر المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب
والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته
المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غدا قال المفضل فانصرفت من عنده فرحا
مسرورا وطالت علي تلك الليلة انتظارا لما وعدني به فلما أصبحت غدوت
فاستؤذن لي فدخلت ووقفت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم
نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت
خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل كأني بك وقد طالت عليك

هذه

المنح: بخشيدن
ذرأ: جعل خلق وكذلك برأ

هذه الليلة انتظارا لما وعدتك فقلت نعم يا مولاي قال المفضل إن الله كان
ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا وله الشكر على ما منحنا
فقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها واصطفانا على جميع الخلق
بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه و
كنت أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي افعل يا مفضل إن الشكاك جهلوا الأسباب
والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه
وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود
وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتى أنكروا خلق الأشياء وادعوا أن
كونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله
عما يصفون وقاتلهم الله أنى يؤفكون فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة
عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش
وأفخره وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها
ولا يستغنى عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة
من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها إدبارا و
إقبالا محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار وما أعد فيها وربما عثر

عثار: بسر درآمدن

لبعضهم الشيء الذي قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه وهو جاهل بالمعنى فيه و
لما اعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا
الصنف في انكارهم ما انكروا من امر الخلقة وثبات الصنعة فانهم لما عزبت
اذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل في الاشياء صاروا يجولون في هذا العالم
حيارى ولا يفهمون ما هو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته وربما
وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والارب فيه فيسرع الى ذمه ووصفه بالاحالة
والخطاء كالذي قدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملحدة والمارقة
الفجرة واشباههم من اهل الضلال المعللين انفسهم بالمحال فيحق على من انعم الله عليه
بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على
ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها
ان يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منه فانه
جل اسمه يقول لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد يا مفضل اول العبر
والادلة على الباري جل اسمه تهيئة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ما
هي عليه فانك اذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني
المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة

كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها
لشأنه معد والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات
مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة
على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وان الخالق له واحد وهو الذي
الفه ونظمه بعضها الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره
تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون نبتدي يا مفضل بذكر
خلق الانسان فاعتبر به فاول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في
ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب
غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه يجري اليه من دم الحيض
ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه
وقوي اديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق
بامه وازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد واذا ولد صرف ذلك الدم
الذي كان يغذوه من دم امه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر
من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين
يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي امه كالاداوتين المعلقتين

فلا يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق الامعاء لين الاعضاء حتى اذا
تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الاسنان
والاضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى
يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر
وعز الرجل الذي يخرج من حد الصبى وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها
نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل و
بقاؤه اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان في هذه الاحوال المختلفة هل ترى يمكن ان
يكون بالاهمال افرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو في الرحم الم يكن
سيذوي ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه
الم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الارض ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته
الم يكن سيموت جوعا او يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم تطلع عليه
الاسنان في وقتها الم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته او يقيمه على الرضاع
فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل ثم كان تشتغل امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد
ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته الم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء
فلا ترى له جلالة ولا وقارا قال المفضل فقلت يا مولاي فقد رايت من يبقى على حاله

ولا ينبت الشعر في وجهه وان بلغ حال الكبر فقال ذلك بما قدمت ايديهم
ان الله ليس بظلام للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه
المآرب الا الذي انشأه خلقا بعد ان لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد ان كان فان كان الاهمال
يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب ان يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال لانهما
ضد الاهمال وهذا فظيع من القول وجهل من قائله لان الاهمال لا يأتي بالصواب و
التضاد لا يأتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا ولو كان المولود
يولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل اذا راى ما لم يعرف
وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم والطير من البهائم الى غير ذلك
مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بان من سبي من بلد الى بلد و
هو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الادب
كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة اذا راى نفسه
محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لانه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته
حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار
يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة
ثم لا يزال يتزيد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الاشياء

ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها الى التصرف والاضطرار
في المعاش بعقله وحيلته الى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا ايضا
وجوه اخر فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية
الاولاد وما قدر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية
للاباء وعلى الابناء من المكافات بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك
لا يالفون اباءهم ولا الف الاباء ابناءهم لان الاولاد
منهم ثم كان الاولاد كانوا يستغنون عن تربية الاباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين
يولدون فلا يعرف الرجل اباه وامه ولا يمتنع من نكاح امه واخته وذوات المحارم
اذ كان لا يعرفهن واقل ما في ذلك من القباحة بل هو اشنع واعظم وافظع واقبح
وابشع لو خرج المولود من بطن امه وهو يعقل ان يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن
به ان يراه فلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطاء دقيقه
وجليله اعرف يا مفضل ما للاطفال في البكاء من المنفعة واعلم ان في ادمغة الاطفال
رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره
فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤسهم فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم والسلامة
في ابصارهم افليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك
فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الامور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء

وهما

اصلح له واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء منافع لا يعرفها
القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من اجل
انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون
وكثيرا مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما ما يسيل
من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في ابدانهم
لاحدثت عليهم الامور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فاخرجته الى حد البله
والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج واللقوة وما اشبههما
فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم
فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك
عن التمادي في معصيته فسبحانه ما اجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه
وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا انظر الان يا مفضل كيف جعلت الات الجماع في
الذكر والانثى جميعا على ما يشاكل ذلك فجعل للذكر الة ناشزة تمتد حتى تصل النطفة
الى الرحم اذا كان محتاجا الى ان يقذف ماءه في غيره وخلق للانثى
وعاء قعرا ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم
اليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون فكر يا مفضل في اعضاء

البدن اجمع وتدبير كل منها للارب فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان
للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول
والاوعية لحملها والفرج لاقامة النسل وكذلك جميع الاعضاء اذا تأملتها واعملت
فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة قال المفضل
فقلت يا مولاي ان قوما يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال سلهم عن هذه الطبيعة
اهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الافعال ام ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم
والقدرة فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه صنعته وان زعموا انها تفعل هذه الافعال
بغير علم ولا عمد وكان في فعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق
الحكيم وان الذي سموه طبيعة هو سنته في خلقه الجارية على ما اجراها عليه فكر يا مفضل في
وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه
وتبعث بصفوه الى الكبد في عروق دقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء
لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم ان
الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وتنفذه الى البدن كله في مجار مهيئة لذلك
بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الارض كلها وتنفذ ما يخرج منه من الخبث
والفضول الى مغايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة

وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة
فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد
هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من
احسن التقدير واحكم التدبير وله الحمد كما هو اهله ومستحقه قال المفضل صف نشوء الابدان
ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام اول ذلك تصوير الجنين
في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه
قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما في تركيب اعضائه من العظام واللحم
والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف فاذا خرج الى العالم تراه كيف
ينمي بجميع اعضائه وهو ثابت على شكله وهيئته لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده
ان مد في عمره او يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة يا مفضل انظر
الى ما خص به الانسان تشريفا وتفضيلا على البهائم فانه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا
ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه
كذات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال انظر الآن يا مفضل الى
هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان
في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل في الاعضاء

التي تحتهن كاليدين والرجلين فيعرضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها
ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الاعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها
نحو الاشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الاعضاء موضع كان الرأس اسنى
المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شيء
من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن
فيها ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم تكن الالوان لما
كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم تكن اصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر
بعضها تلقى بعضا فجعل لكل جارحة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد
جعلت الاشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس الا بها كمثل الضياء والهواء
فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي
الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره
ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة اشياء
اخر بها تتم الحواس لا يكون الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من
الناس وما يناله من الخلل في اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه فلا
يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة ان هجم عليها ولا عدوا

ان اهوى اليه بسيف ولا يكون له سبيل الى ان يعمل شيئا من هذه الصناعات
مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى
وكذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة
ويعدم لذة الاصوات واللحون الشجية المطربة وتعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى يتبرموا
به ولا يسمع شيئا من اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد او كالميت
وهو حي فاما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما تهتدي اليه البهائم
افلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد
منها شيئا لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم
كان كذلك الا انه خلق بعلم وتقدير قال المفضل قلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا
من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي قال ذلك للتاديب والموعظة
لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر
ذلك عليهم بل يحمد من رايهم ويتصوب من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل بهم
البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم
حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب
فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت فيه افرادا وازواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير

والصواب في التدبير فأكثر ما خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر
من واحد ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة
إليه لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثم كان الإنسان ينقسم
قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا أرب فيه
ولا حاجة إليه وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه وإن تكلم
أحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشباه هذا
من الأخلاط واليدان مما خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة
لأن ذلك يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أن النجار والبناء
لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته وإن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه
ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل أطل الفكر يا مفضل في الصوت
والكلام وتهيئة الآلة في الإنسان فالحنجرة كالأنبوب لخروج الصوت واللسان
والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أن من سقطت
أسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء
وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزق
الذي ينفخ فيه لتدخله الريح والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع
التي

التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار والشفتان والأسنان التي تصوغ
الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً غير
أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإن المزمار بالحقيقة
هو المشبه بمخرج الصوت قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة
الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى فالحنجرة ليسلك فيها
هذا النسيم إلى الرئة وتروح عن الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس شيئاً يسيراً
لهلك الإنسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها
من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على إساغة
الطعام والشراب والأسنان لمضغ الطعام حتى يلين ويسهل إساغته وهي مع ذلك
كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك بأنك ترى من سقطت أسنانه
مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي
يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجاً فيغص به الشارب أو ينكأ في الجوف ثم هما بعد
ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ويطبقهما إذا شاء ففيما وصفنا
من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع
كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس تستعمل في النجارة

والجهر وغيرها من الاعمال لو رايت الدماغ اذا كشف عنه لرايته قد التحجب بعضها

فوق بعض لتصونه من الاعراض وتسكنه فلا يضطرب ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة

كيما تقيه هذه الصدمة والنكبة التي ربما وقعت في الراس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر

حتى صار بمنزلة الفرو للراس يستره من شدة البرد والحر فمن حصن الدماغ هذا

التحصين الا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من

البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته تامل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء

والاشفار كالاشراج واولجها في هذا الغار واظلها بالحجاب وما عليه من الشعر يا مفضل

من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح

وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل اليه ما ينكاه من جعل في الحلق منفذين احدهما لمخرج

الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية والآخر منفذا للغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل الغذاء

اليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة

الفؤاد ولا تفتر ولا تخل لكيلا تتحير الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف من جعل

لمنافذ البول والغائط اشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان

عيشه فكم عسى ان يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس اكثر من جعل المعدة

عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول

الصفو اللطيف

الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ما هو الطف من عمل المعدة الا الله

القادر ترى الاهمال اتى بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر حكيم قادر

عالم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير فكر يا مفضل لم صار

المخ الرقيق محصنا في انابيب العظام هل ذلك الا ليحفظه ويصونه لم صار الدم

السائل محصورا في العروق بمنزلة الماء في الظروف الا لتضبطه ولا يفيض لم

صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها ومعونة على العمل لم صار داخل

الاذن ملتويا كهيئة الكوكب الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي الى السمع وليكسر حمة الريح

فلا ينكاء في السمع لم حمل الانسان على فخذيه والتيه هذه اللحم الا ليقيه من الارض فلا يتالم

من الجلوس عليهما كما يالم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يقيه

جعلا تهامن جعل الانسان ذكرا او انثى الا من خلقه متناسلا ومن خلقه متناسلا الا من خلقه

مؤملا ومن اعطاه الالات العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الا من جعله محتاجا

ومن جعله محتاجا الا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويمه من خصه بالفهم

الا من اوجب له الجزاء ومن وهب له الحيلة الا من ملكه الحول من ملكه الحول الا

من الزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته الا من لم يبلغ مدى شكره فكر وتدبر ما وصفته

هل تجد الاهمال اتى على مثل هذا النظام والترتيب تبارك الله تعالى عما يصفون صنف الكلام

الفؤاد اعلم ان فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرية تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك الانسان
أ و يستجيز ذو فكرة وروية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهدا من نفسه
ينزعه عن هذا القول لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب أ كنت تتوهم انه جعل
كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع يلقى فردا آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما
ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كانه فرد من زوج مهيأ من فرد
انثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم
عن هذه الخلقة العجيبة حتى انكروا التدبير والعمد فيها لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف
كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان الرجل يتقلب في
الفراش او يمشي بين الناس وشيء شاخص امامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك
الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل اسمه ان يكون اكثر
ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤونة بل جعل فيه
القوة على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدر ان يكون فيه من دوام
النسل وبقائه اعتبر الان يا مفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل
خروج الاذى اليس من حسن التقدير في بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع منها

فكذا جعل

فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الانسان في استر موضع منه فلم يجعله بارزا
من خلفه ولا ناشرا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور
محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فاذا احتاج
الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة القى ذلك المنفذ منه منصبا مهيأ لانحدار الثفل
فتبارك من تظاهرت الاؤه ولا تحصى نعماؤه فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت
للانسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم
ينقص واحد من الصنفين اذ كان محتاجا اليهما جميعا تأمل واعتبر بحسن التدبير في
خلق الشعر والاظفار فانها لما كانت مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه اولا فاولا
جعلت عديمة الحس لئلا يؤلم الانسان الاخذ منها ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما
يوجد له مس من ذلك لكان الانسان من ذلك بين مكروهين اما ان يدع كل واحد
منهما حتى يطول فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم يتألم منه قال المفضل فقلت
فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الانسان الى النقصان منه فقال عليه السلام
ان الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمد عليها اعلم ان آلام البدن
وادواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الاظفار من اناملها ولذلك
امر الانسان بالنورة وحلق الراس وقص الاظفار في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار

في السيلان فيخرج الالام والاذى والبخار وجهادا واذا كان كثيرا او قبح وجها
فاحتبست الالام والاذى في البدن فاحدثت عليلا وادواء ومنع ذلك
الشعر من المواضع التي تضر بالانسان ويحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في باطن
الاذن لم يكن يسمع السمع ولو نبت في الفم لم يكن يستقيم على الانسان طعاما ولا شرابا ولو
نبت في باطن الكف لم يكن يستوفي من جهة اللمس وبعض الاعمال ولو نبت في
فرج المراة وعلى ذكر الرجل لم يكن يستلذ عليهما اللذة بالجماع فانظر كيف تنكب الشعر
هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم و
السباع وسائر المتناسلات فانك ترى اجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع
خالية منه لهذا السبب فتامل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطا والمضرة وياتي بوجوه
الصواب والمنفعة ان المنانية واشباههم حين جهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر
النابت على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع
فتنبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه فلا ترى الى هذه المواضع استر واهيا
لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه فقد مما يحمل الانسان من مؤنة هذا البدن و
تكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من
الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ من الاشر

والبطالة

والبطالة تامل الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجري جريانا دائما الى الفم ليبل
الحلق واللهوات فلا يجف فان هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان ثم كان
لا يستطيع ان يسيغ طعاما اذا لم يكن في الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة
واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البلة الى موضع اخر من المرة
فيكون في ذلك صلاح تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان ولقد قال
قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين لقلة التمييز وقصور العلم لو كان بطن
الانسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه
الم يكن اصلح من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا تعرف ما فيه الا بدلالات
غامضة كمثل النظر الى البول وحس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة
حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان اول ما
فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء
ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي
في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته
بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل افعالها بالحرارة
الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته

وليجد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فاخرج حرارة الغريزية وبطل جل الاشياء

فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان كل ما يذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت

به الخلقة خطاء وخطل فكر يا مفضل في الافعال التي جعلت للانسان من الطعم والنوم والجماع

وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد منها في الطباع محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع

يقتضي الطعم الذي حياة البدن وقوامه والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة

البدن واجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ولو

كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه

شيئا يضطره الى ذلك كان خليقا ان يتوانى عنه احيانا بالثقل والكسل حتى ينحل

فهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع حتى يؤديه ذلك الى

المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير بالنوم بالفكر في حاجته الى راحة البدن

واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما

يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع

فان من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه

الافعال التي بها قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك

ويحدوه عليه اعلم ان في الانسان قوى اربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده

على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي

التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل

الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها فكر في تقدير هذه القوى الاربعة التي في البدن وا

وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة

فلولا الجاذبة كيف يتحرك الانسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ولولا الماسكة

كيف يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ

حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل

الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكل الله سبحانه

بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسامثل

لك في ذلك مثالا ان البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام

موكلون بالدار فواحد لقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد و

خزنه الى ان يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه وآخر لتنظيف ما

في الدار من الاقذار واخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق العليم

ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوام هي

هذه القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي

وسخف فضلا او تردادا ولعله ذكر من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب
الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه في صناعة الطب وتصحيح
الابدان وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي
اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها تأمل يا مفضل هذه
القوى التي في النفس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم والعقل والحفظ
وغير ذلك افرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله
وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه وتجاربه اذا لم يحفظ ما له وعليه وما اخذه وما اعطى
وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من احسن اليه ممن اساء به وما نفعه مما
ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا
يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع ان يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا ان
ينسلخ من الانسانية اصلا فانظر الى النعمة على الانسان في هذه الخلال وكيف موقع
الواحدة منها دون الجميع واعظم من النعمة على الانسان في الحفظ النعمة في النسيان
فانه لولا النسيان لما سلا احد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد
ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة
من حاسد افلا ترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان

وجعل

وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء
بين خالقين متضادين في هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع
على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من
هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه اعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف
بالعدات ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الاشياء
حتى ان كثيرا من الامور المفترضة ايضا انما يفعل للحياء فان من الناس من
لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة
افلا ترى كيف وفي الانسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره تأمل يا
مفضل ما انعم الله تقدست اسماؤه به على الانسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في
ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة
البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة
التي بها تقيد اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب في
العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من
المعاملات والحساب ولولاه لانقطع اخبار بعض الازمنة عن بعض واخبار الغائبين عن
اوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل

في امورهم ومعاملاتهم واحتاجوا الى النظر فيهم من امر دينهم وما روي لهم مما لا يعلم
جهله ولذلك تظن انها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما اعطيه الانسان
من خلقه وطباعه وكذلك الكلام انما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم و
لهذا صار يختلف في الامم المختلفة بالسن مختلفة وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني
والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها
كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان له في الامرين جميعا
فعل او حيلة فان الشيء الذي يبلغ ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل
له في خلقه وانه لو لم يكن له لسان مهيا للكلام وذهن يهتدي للامور لم يكن ليتكلم ابدا
ولو لم يكن له كف مهياة واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من
البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به
على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر فان الله غني عن العالمين فكر يا مفضل فيما اعطي الانسان
علمه وما منع فانه اعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق
تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل
على الناس كافة وبر الوالدين واداء الامانة ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما
قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل امة موافقة او

مخالفة وكذلك اعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج
الارضين واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير
التي يستشفى بها من ضروب الاسقام والمعادن التي يستخرج منها انواع الجواهر وركوب
السفن والغوص في البحر وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان و
التصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه
ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فاعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه
ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شانه ولا طاقته ان يعلم كعلم الغيب وما هو كائن
وبعض ما قد كان كعلم ما كان فوق السماء وما تحت الارض وما في لجج البحار واقطار
العالم او ما في قلوب الناس وما في الارحام واشباه هذا مما حجب على الناس علمه
وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور فابطل دعواهم ما تبين من خطائهم فيما
يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطي الانسان علم جميع ما
يحتاج اليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الامرين
فيهما صلاحه تامل الان يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من مدة حياته فانه لو عرف
مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنا بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد
عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله او قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل

من بقائه بالله وخوف الفقر على ان الذي يدخل على الانسان من قبل العمر اعظم مما
يدخل عليه من قبل المال لان من يقل ماله امل ان يستخلف منه فيمكن الكد
ومن يقصر بقاء العمر استحكم عليه اليأس ولكن ان طول العمر ثم عرف ذلك وثق
بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل على انه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب
في آخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله الا ترى لو ان عبدا
لك عمل على انه يسخطك سنة ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك
ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون ان يضم طاعتك والتحلي في كل الاحوال
في كل الاوقات على تصرف الحالات فان قلت اوليس قد يقيم الانسان على
المعصية حينا ثم يتوب فتقبل توبته قلنا ان ذلك شيء يكون من الانسان لغلبة
الشهوات له وتركه مخالفتها من غير ان يقدره في نفسه ويبني عليه امره
فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة فاما من قدر امره على ان يعصي ما بدا له ثم
يتوب آخر ذلك فانما يحاول خديعة من لا يخادع بان يتسلف التلذذ في العاجل
ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل ولانه لا يفي بما يعد من ذلك فان النزوع عن الترفه
والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن امر صعب ولا يؤمن
على الانسان مع مدافعته بالتوبة ان يرهقه الموت ويخرج من الدنيا غير

تائب كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك
حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير الاشياء للانسان
ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل
الصالح فان قلت وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت
في كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا ان وجه التدبير
في هذا الباب هو الذي جرى عليه الامر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوي
عن المساوي فانما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطأ في التدبير كما ان الطبيب
قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره
ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الاساءة في ذلك للطبيب بل
للمريض حيث لم يقبل منه ولئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن
المعاصي فانه لو وثق بطول البقاء كان احرى بان يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب
الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر
منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالاموال والعقائل
النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء
الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع اولئك حظهم منها فكر في الاحلام كيف دبر الامر فيها فمزج

تدافعها بكذا وبهذا فانها لو كانت كلها كذبا لم يكن فيها منفعة ولو كانت صدقا لكان
الناس كلهم انبياء ولو كانت كلها كذبا لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له
فصارت تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها او مضرة يتحرز منها
وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة
في العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والنحاس
للاواني والذهب والفضة للمعاملة والجوهر للذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه
واللحم للماكل والطيب للتلذذ والادوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد
والرماد للكلس والرمل للارض وكم عسى ان يحصي المحصي من هذا وشبهه ارايت
لو ان داخلا دخل دارا فنظر الى خزائن مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس ورأى كل
ما فيها مجموعا معدا لاسباب معروفة اكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير
عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول هذا في العالم وما اعد فيه من هذه الاشياء اعتبر
يا مفضل باشياء خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه فكلف طحنه
وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها
وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لادويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها
كذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال فانظر كيف كفي الخلقة التي لم يكن عنده

فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الاشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك
من الصلاح لانه لو كفي هذا كله حتى لا يكون له في الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته
الارض اشرا وبطرا ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى امورا فيها تلف نفسه ولو كفي
الناس كلما يحتاجون اليه لما تهنوا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لو ان امرا نزل بقوم
فاقام حينا بلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى
التشاغل بشي فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شي فكان من صواب التدبير
في هذه الاشياء التي خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه
عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله واعلم يا مفضل ان راس معاش الانسان
وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته
الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذي يحتاج اليه من الماء
اكثر مما يحتاج اليه من الخبز لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي انعامه
وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى ليسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا
لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان في ذلك شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من الاشر
والعبث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم كل ذلك
ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان

لو خلا من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه
واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك اليه
اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالاخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى
السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الاخرى وترى الناس
مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة في ذلك
ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري
بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا ترى ان التشابه
في الطير والوحش لا يضرهما شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوامان
تشابها شديدا فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ
احدهما بذنب الاخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور
فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا يكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب
الا من وسعت رحمته كل شيء لو رايت تمثال الانسان مصورا على حائط وقال لك قائل ان
هذا ظهر هاهنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر
هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الانسان الحي الناطق لم صارت ابدان الحيوان وهي
تغتذي ابدا لا تنمي بل تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف لا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك

فان من تدبير الحكيم فيها ان يكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت
في الكبير والصغير وصارت تنمي حتى تصل الى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء
مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمي نموا دائما لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى
لا يكون لشيء منها حد يعرف لم صارت اجسام الانس خاصة تثقل عن الحركة والمشي ويجفو
عن الصناعات اللطيفة الا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج اليه الناس للملبس والمضجع والتكفين
وغير ذلك لو كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع بما كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع
لله ويتعطف على الناس اما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب
الى ربه في العافية وبسط يديه في الصدقة ولو كان لا يالم من الضرب بما كان
السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة وبما كان الصبيان يتعلمون العلوم
والصناعات وبما كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون لطاعتهم فليس هذا التوبيخ
لابن ابي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير والمانية الذين انكروا الالم والوجع
لو لم يولد من الحيوان الا ذكور فقط او اناث فقط الم يكن النسل منقطعا وباد
مع ذلك اجناس الحيوان فصار بعض الاولاد ياتي ذكورا وبعضها ياتي اناثا
ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمراة اذا ادركا تنبت لهما العانة
ثم تنبت اللحية للرجل وتتخلف عن المراة لولا التدبير في ذلك فانه لما جعل الله تبارك

وتعالى للرجل فبدا وقاراً على المرأة وجعل المرأة عوضاً ساذجاً لأجل أن جعل على الرجل اللحية
لما له من العز والجلالة والهيبة ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل
المفاكهة والمضاجعة أفلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الأشياء وتتخلل مواضع
الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الأرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل قال المفضل ثم حان
وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غداً إن شاء الله فانصرفت من عنده
مسروراً بما عرفته مبتهجاً بما أوتيته حامداً لله على ما أنعم شاكراً لأنعمه على ما منحني وعرفنيه
مولاي وتفضل به علي فبت في ليلتي مسروراً بما منحنيه تم المجلس الأول ويتلى المجلس الثاني
من كتاب الأدلة على الخلق والتدبير على القائلين بالإهمال ويكذبي العبد برواية المفضل عن الصادق
صلوات الله عليه وعلى آبائه

قال المفضل

فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدبر
الأدوار ومعيد الأكوار طبقاً عن طبق وعالماً بعد عالم ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين
أحسنوا بالحسنى عدلاً منه تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك
قوله جل قدسه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره في نظائر لها في كتابه الذي فيه
تبيان كل شيء ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله

عليه وآله إنما هي أعمالكم ترد إليكم ثم أطرق هنيئة ثم قال يا مفضل الخلق حيارى
عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء عمي لا
ينظرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون حادوا عن مدرجة
الأكياس ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس كأنهم من مفاجأة الموت آمنون وعن
المجازاة مزحزحون يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم وأشد بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى
شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت
إذ قبلت ونجوت إذ عرفت ثم قال أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضح
لك من غيره فكر يا مفضل في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة
ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الأعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت
لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها فجعلت من لحم رخو تنثني تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب
وعروق تشده وتضم بعضه إلى بعض وعليت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ومن
أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق
ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب
والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرك حدث بالإهمال من غير
صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فإن كان هذا غير جائز في التماثيل

فالطف بالتدبير في الحيوان وفكر بعد هذا في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان
الانس من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضا السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها
لو كانت عميا صما لما انتفع بها الانسان ولا تصرف في شي من مآربه ثم منعت الذهن و
العقل لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فان قال قائل
انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك
عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف في الناس قليل و
اما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك و
لا يغرون بما يحتاج اليه منه ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا
بذلك عن سائر الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة
اناسي فكان هذا العمل يستغرق الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشي من الصناعات
مع ما يلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد في معاشهم فكر يا مفضل في
هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل واحد منها
فالانس لما قدروا ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من
البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك خلق لهم اكف كبار ذوات اصابع غلاظ ليتمكنوا
من القبض على الاشياء واوكدها هذه الصناعات واكلات اللحم لما قدر ان يكون معايشها

من الصيد خلق لهم اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ
الصيد ولا تصلح للصناعات واكلات النبات لما قدر ان يكونوا لا ذات
صنعة ولا ذات صيد خلق لبعضها اظلاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت
طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كاخمص القدم تنطبق على الارض
ليتهيا للركوب والحمولة تامل التدبير في خلق اكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات
اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر ان يكون طعمها
اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد وكذلك تجد
سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهياة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات
مخاليب كانت قد اعطيت ما لا تحتاج اليه اعني السلاح الذي به تصيد وتتعيش افلا ترى
كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه
انظر الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة بانفسها لا تحتاج الى الحمل و
التربية كما تحتاج اولاد الانس فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر
من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهياة لذلك اعطيت النهوض
والاستقلال بانفسها وكذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج
تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض فاما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ

البهائم والهوام والحشر فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت تمج
الطعام في افواهها بعد ما توسعه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بانفسها ولذلك
لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما رزق الدجاج لتقوى الام على تربية فراخها فلا
تفسد ولا تموت فكل اعطي بالقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر الى قوائم الحيوان
كيف تاتي ازواجا لتتهيا للمشي ولو كانت افرادا لم تصلح لذلك لان
الماشي ينقل قوائمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة
وذوي الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذو الاربع لو كان
ينقل قائمتين من احد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما ثبت على الارض
كما لا يثبت السرير وما اشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره
وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشى
اما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا
يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف
كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب
السيوف والاسنة بالمواساة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل
واحد ولو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها

[illegible]

كذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان ثم كانت كذلك الا بانها عدمت
العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتروي في الامور كانت خليقة ان تلتوي
على الانسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق
الغنم عن راعيها واشباه ذلك من الامور وكذلك هذه السباع لو كانت ذات
عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد
والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس فلا ترى كيف حجر ذلك عليها
وصارت مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر
ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل فهي مع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة ممنوعة
منهم ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم ثم جعل في الكلب من بين هذه
السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة
الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت
دونه ودون ماشيته وماله ويالفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة
فلم طبع الكلب على هذا الالف الا ليكون حارسا للانسان له عين بانياب ومخالب ونباح
هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها يا مفضل تامل وجه الدابة
كيف هو فانك ترى العينين شاخصتين امامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا

[illegible]

[illegible]

او تتردى في حفرة وترى الفم مشقوقا في اسفل الخطم ولو كان الفم كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن
لما استطاع ان يتناول به شيئا من الارض الا ترى ان الانسان لا يتناول الطعام بفيه
ولكن بيده تكرمة له على سائر الاكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل
خطمها مشقوقا من اسفله لتقبض به على العلف ثم تقضمه واعينت بالجحفلة لتتناول بها ما
قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما
ومن منافعها فيه ان ما بين الدبر ومراق البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض
فجعل لها الذنب كالمذبة يذب بها عن تلك المواضع ومنها ان الدابة تستريح
الى تحريكه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع باسرها وشغلت
المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه
منافع اخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة اليها فمن ذلك
ان الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي
شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطوحا
على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من
ضربها ولو كان اسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع
ان يأتيها كفاحا كما يأتي الرجل المرأة تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم

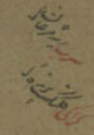
مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه ولولا ذلك لما
استطاع ان يتناول شيئا من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما
عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليدليه فيتناول به حاجته فمن ذا الذي
عوضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال
كما قالت الظلمة فان قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل له ان راس الفيل
واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل فلو كان ذلك على عنق عظيمة لهدها واوهنها فجعل
راسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله ما وصفنا وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول
غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته انظر الآن كيف جعل حياء الانثى
من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها
فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الانعام ثم جعلت فيه
هذه الخلة ليتهيأ الامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة واختلاف
اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فراسها راس فرس وعنقها عنق
جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل
ان نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا وردت
الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من اصناف

شيء وهذا اجهل من قائله وقله من قد سماه الباري جل وعز وليس كل صنف من الحيوان
يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان
فيما يشاكله ويقرب من خلقته كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب
الضبع فيخرج من بينهما السمع على انه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كل
واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقر بل قد
يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى راسه واذنيه وكفله
وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من
صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى
من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته
التي لا يعجزها شيء وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من اعضائها
في ايها شاء ويفرق ما شاء منها في ايها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء
دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شيء اراده جل وتعالى واما طول عنقها
والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة
طولا في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتقوت
من ثمارها تامل خلقة القرد وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه اعني الراس والوجه

والمنكبين

والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه مضاهية لاحشاء الانسان وخص مع ذلك
بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي اليه ويحكي كثيرا مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب
من خلق الانسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ان يكون عبرة للانسان
في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه
لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد
فضولا اخرى يفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسبل والشعر المجلل للجسم كله وهذا
لم يكن مانعا للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطي مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل
بينه وبين الانسان بالصحة هو النقص في العقل والذهن والنطق انظر يا مفضل
الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر و
الصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف
ليقيها من الحفا اذ كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهياة للغزل والنسج فكفوا
بان جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها
فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهياة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة
ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انه
يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه اليه الكفاية ومنها انه يستريح الى خلع

كسوة اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة [illegible] والجمال
ودعة فيلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة الحذاء والخفاف
والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها
معاشهم ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم
مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء فكر يا مفضل في خلقة
عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم
والا فاين جيف الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل
لو قال قائل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال
من اسراب الظباء والمها والحمير والوعول والايائل وغير ذلك من الوحوش و
اصناف السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام
والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز
والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا ترى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد
يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا احسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها
ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهوى ويحدث الامراض
والوباء فانظر الى هذا الذي يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذي مثل لهم



كيف جعل

كيف جعل طبعا وادكارا في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث
عليهم من الامراض والفساد فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة
لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز احد من خلقه لا بعقل وروية
فان الايل ياكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من ان
يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب
منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظمأ
الغالب خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من
نفسه والثعلب اذا اعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت
عليه لتنهشه وثب عليها فاخذها فمن اعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة الا
من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما
يقوى عليه السباع من مساورة الصيد اعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه والدلفين
يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك ان ياخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو
على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فاذا وقع
الطير على السمك الطافي وثب اليها فاصطادها فانظر الى هذه الحيلة كيف جعلت
طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة قال المفضل فقلت خبرني يا مولاي عن التنين

والسحاب فقال عليه السلام ان السحاب كالموكل به يحفظه حيثما ثقفه كما يحفظ حجر المغناطيس
الحديد فهو لا يطلع راسه في الارض خوفا من السحاب ولا يخرج الا في القيظ مرة اذا
صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده و
يحفظه اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته قال المفضل قلت قد وصفت لي يا مولاي
من امر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة والنمل والطير فقال عليه السلام يا مفضل
تامل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن اين
هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره
انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب
الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام او غيره بل للنمل في ذلك من الجد و
التشمير ما ليس للناس مثله اما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على
العمل ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه قطعا لكي لا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى
اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كي لا يفيض
السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله عز
وجل انظر الى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة اسد الذباب وما اعطي من الحيلة
والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه تركه مليا حتى كانه

موات لا حراك به فاذا راى الذباب قد اطمان وغفل عنه دب دبيبا دقيقا حتى
يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فياخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة
ان ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه
فيفترسه ويحيا به فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة
للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا انتشب فيه الذباب اجال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة
فيعيش بذلك منه فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهذا يحكي صيد الاشراك
والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الانسان
الا بالحيلة واستعمال الآلات فيها فلا تزدر بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كا
الذرة والنملة وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما
لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد تامل يا مفضل
جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه
فاقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن
منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان
يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه
وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كله الريش ليتداخله الهواء فيقله

ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له
منقار صلب جاس ينال به الطعم فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم
الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين بفضل حرارة في جوف
يطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من
اجواف الانس صحيحا ويطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا
يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته و
عاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا للامر الذي قدر ان
يكون عليه ثم صار الطائر السابح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين
وبعضها ثلثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته
للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته
ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يامل في
فراخه ما يؤمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله يشهد بانه معطوف
على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى
ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى
بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلما كان

ذلك

ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة
على ذلك اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق
فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة وما في ذلك
من التدبير فانه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصفة التي لا مساغ لشي
اليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في
حبس حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه منه فكر
في حوصلة الطائر وما قدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام
الا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال
عليه ومتى كان يستوفي طعمه فانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة
امامه ليوعي فيها ما ادرك من الطعم بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفي
الحوصلة ايضا خلة اخرى فان من الطائر ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده
للطعم من قرب اسهل عليه قال المفضل فقلت ان قوما من المعطلة يزعمون ان اختلاف
الالوان والاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط واختلاف مقاديرها
بالمرج والاهمال فقال يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج
على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام كيف ياتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف

لو كان بالكاهل العين الا عسرا ولكان مختلفا تأمل ريش الطير كيف هو فانك تراه
منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد الف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط
والشعرة الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح
فيقل الطائر اذا طار وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي
هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف
ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين
وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء
فتراه بساقين طويلين كانه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فاذا رأى
شيئا مما يتقوت به خطا خطوات رقيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين كان يخطو
نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك
بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه تأمل ضروبا من التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل
طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض ولو كان
طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول شيئا من الارض وربما اعين مع طول
العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة له وامكانا افلا ترى انك لا تفتش شيئا من الخلقة
الا وجدته على غاية الصواب والحكمة انظر الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهي

فهي

لا تفقده ولا هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان
من قدر الرزق كيف قدره فلم يجعله مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق حاجة اليه ولم يجعله
ينال بالهوينا اذ كان لا صلاح في ذلك فانه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم
تتقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى تبشم فتهلك وكان الناس ايضا يصيرون بالفراغ الى
غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش اعلمت ما طعم هذه الاصناف من الطير
التي لا تخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لا يا مولاي قال عليه السلام ان
معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب
وذلك ان هذه الضروب منتشرة في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك
اذا وضعت سراجا بالليل في سطح او عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن اين
يأتي ذلك كله الا من القرب فان قال قائل انه يأتي من الصحاري والبراري قيل له
كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في
دار محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على انها
منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه
الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف
مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الاربع هو الى ذوات الاربع اقرب
وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي
اذا مشى على اربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل ويتقوت بما يسري
في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال قائلون انه لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم
وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين احدهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول فان هذا
لا يكون من غير طعم والاخرى انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه
معنى وليس في الخلقة شيء لا معنى له واما المآرب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في
بعض الاعمال ومن اعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل
ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فاما الطائر الصغير الذي يقال له
ابن تمرة فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت
نحو عشه فاغرة فاها تبغيه لتبتلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذ وجد حسكة
فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب حتى ماتت افرايت لو لم اخبرك
بذلك كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة او يكون من طائر
صغير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشياء تكون فيها منافع لا تعرف الا
بحادث يحدث به او خبر يسمع به انظر الى النحل واحتشاده في صنعة العسل

فراش پروانه
عش آشیان
فغر دهن گشادن

وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة فانك اذا تاملت العمل
رايته عجيبا لطيفا واذا رايت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس واذا رجعت
الى الفاعل الفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة
على ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها و
سخره فيها لمصلحة الناس انظر الى هذا الجراد ما اضعفه واقواه فانك اذا تاملت
خلقه رايته كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع احد
ان يحميه منه الا ترى ان ملكا من ملوك الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد
لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث اضعف خلقه على
اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل
فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالايدي
متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على
القدرة التي لا يؤودها شيء ولا يكثر عليها تامل خلق السمك ومشاكلته للامر الذي قدر
ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوائم لانه لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه الماء
وخلق غير ذي رئة لانه لا يستطيع ان يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان
القوائم اجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة

وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات
فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار إذا شم الطعم من البعد
البعيد انتجعه فتتبعه ليعلم به وبموضعه واعلم أن من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعب
الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا
النسيم فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة
الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف
الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء
أيضاً كي ترصد السمك فإذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل
السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على
ما هو عليه من الكثرة فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين
فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف
التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث
مثل القرمز فإنه إنما عرف الناس صبغه بأن كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت
شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه
صبغاً وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان قال

المفضل

المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غداً إن شاء الله
فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجاً بما منحنيه حامداً لله على ما آتانيه
فبت ليلتي مسروراً مبتهجاً المجلس الثالث قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت
إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست فقال عليه السلام
الحمد لله الذي اصطفانا بالعلم ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه وأيدنا بحلمه من شذ عنا
فالنار مأواه ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت لك يا مفضل
خلق الإنسان وما دبر به وتنقله في أحواله وما فيه من الاعتبار فشرحت لك أمر الحيوان
وأنا أبتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر و
البرد والرياح والجواهر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار والمطر والصخر والجبال
والطين والحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر
فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة
للبصر وتقوية حتى إن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة
وما قرب منها إلى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في إجانة خضراء
مملوءة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى
السواد ليمسك الأبصار المتقلبة عليه فلا ينكأ فيها طول مباشرتها له فصار

ذا الذي ادركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة حكمة
بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله انى يؤفكون فكر يا مفضل
في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي الليل والنهار فلولا طلوعها لبطل
امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا
مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه فالارب في
طلوعها ظاهر مستغني بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل
تأمل المنفعة في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء
والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام
وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما
يعظم نكايته في ابدانهم وان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم
يكن لهم هدوء ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض تستحمي
بدوام الشمس بضيائها وتحمي كل ما عليها من حيوان ونبات فقدرها الله بحكمته
وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا
حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما
منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ثم فكر بعد هذا في ارتفاع

الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما في ذلك من التدبير
والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويستكثف
الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد ابدان الحيوان وتقوى وفي الربيع
تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج
الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان
ويجف وجه الارض فتهيأ للبناء والاعمال وفي الخريف يصفو الهواء وترتفع
الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله ويطيب الهواء
فيه الى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام فكر الان في تنقل
في البروج الاثني عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي
تصح به الازمنة الاربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف وتستوفيها على التمام
وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي الى غاياتها ثم تعود
فيستأنف النشوء والنمو الا ترى ان السنة مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل فبالسنة
واخواتها يكال الزمان من لدن خلق الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب
الناس الاعمار والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك
من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر الى شروقها

على العالم كيف يدبر ان يكون فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه
لما وصل شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران كان تحجبها عنها فجعلت
تطلع في اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال
تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في اول النهار فلا
يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة فيها والارب التي قدرت له ولو
تخلفت مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء
افلا ترى كيف الناس هذه الامور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على
مجاريها لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه
دلالة جليلة يستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره
لا يستوفي الازمنة الاربعة ونشو الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه
تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصارت الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء
ومرة بالصيف فكر في انارته في ظلمة الليل والارب في ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدوء
الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها
فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في
بعض الاعمال في النهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى

كحرث الارض

كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس
على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل
دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في
العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعوا من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف
القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله
خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فكر يا مفضل في
النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير الا مجتمعة
وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين
احدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور
على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك
تتحرك حركتين مختلفتين احداهما بنفسها فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها
الى خلفها فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال من غير عمد ولا صانع
لها ما منعها ان تكون كلها راتبة او تكون كلها منتقلة فان الاهمال معنى واحد
فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان ان مسير الفريقين
على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس باهمال كما يزعم المعطلة

فان قال لم صار بعض النجوم راتبا وبعضها منتقلا قلنا انها لو كانت راتبة لبطلت الدلالات
التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل
على اشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة
لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف بمسير المنتقلة منها
بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز
عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل
ان يقول ان كينونتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي
اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين
وسهيل فانها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله
دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الان بما يكون من طلوع
الثور والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في
وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما
جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحتجب حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات نعش
ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس

في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها
متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاءوا وصار الامران جميعا على اختلافهما
موجهين نحو الارب والمصلحة وفيها مآرب اخرى علامات ودلالات على اوقات
كثيرة من الاعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر واشياء مما يحدث في
الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة
الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة
ومشرقة ومغربة فانها تسير اسرع السير واحثه ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم
بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه الم تكن ستختطف الابصار بوهجها و
شعاعها كالذي يحدث احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك
ايضا لو ان اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت
ابصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر
في الابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها
جزء يسير من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة اذا حدثت حادثة
كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل فان لم يكن شيء من الضوء
يهتدى به لم يستطع ان يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة

دولة وهذه الحجب عليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفت فكر
في هذه الافلاك الشمس والقمر والنجوم والبروج المدورة على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا
التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة من
التوفيق على الارض وما عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي
بينت وشخصت لك القاعدة هل يخفى على ذي لب ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة
من مقدر حكيم فان قال قائل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا في
دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء مقدرا بعضه يلقى
بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى
الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه افينكر ان يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة
قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا
الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها اذهان البشر لصلاح جميع الارض وما عليها انه
شيء اتفق ان يكون بلا صنعة وتقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الالات التي تتخذ
للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس من الحيلة في اصلاحها فكر يا مفضل في مقادير النهار
والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس
عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرايت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة او مائتي ساعة الم يكن

في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا يهدأ
ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار
ولا الانسان يفتر كان عن العمل والحركة وكان ذلك سينهكها اجمع و
يؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس
حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف
الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة
الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات
اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم
ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة
الاربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي عليها بقاؤها
وفيهما صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتداولهما الابدان لفسدت وخمدت
وانتكثت فكر في دخول احدهما على الاخر بهذا التدريج والترسل فانك
ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء والاخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل
واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما على الاخر
مفاجاة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان احدكم لو خرج من حمام حار

مواضع البرد والحر وذلك وتقسيمه فلم جعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد
الا للسلامة من ضرر المفاجاة ولم جرى الامر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجاة
لولا التدبير في ذلك فان زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر والبرد
انما يكون لابطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في ابطاء
مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل
عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسئلة ترقى معه الى حيث رقي من هذا القول
حتى استقر على العمد والتدبير لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين و
تعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع
الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم
الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الابدان ويمضها وفي ذلك عبرة
لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه وانبهك يا مفضل
على الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد
ان ياتي على النفوس ويمرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول و
يعقب الوباء في الابدان والافة في الغلات ففي هذا بيان ان هبوب الريح من تدبير
الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره

اصطكاك الاجسام في الهواء والهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم
ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء
كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلاء العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم و
كانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه لان ما يلقى من
الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام
ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل ابدا بلا انقطاع و
حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حياة هذه الابدان
والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد
هذه الاصوات فيؤدي بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارايح ينقلها من موضع
الى موضع الا ترى كيف تاتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت
وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يعتقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح
الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجي السحاب من موضع الى موضع ليعم نفعه حتى
يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخي الاطعمة و
تبرد الماء وتشب النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحيي كل ما في
الارض فلولا الريح لذوى النبات ومات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الأربع ليتسع ما يحتاج إليه منها
فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن
الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وحطبهم والعقاقير العظيمة والمعادن
الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخالية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها
فهي مأوى الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب للناس إذا
احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا
باستيطان الناس لها وحلولهم فيها ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن
هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطره إلى الانتقال عنه
ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطنا مستقرا
للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم
لهدوئهم والإتقان لأعمالهم فإنها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون أن
يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يتهنون بالعيش
والأرض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس في الزلازل على قلة مكثها
حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها فإن قال قائل فلم صارت هذه الأرض
تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا

وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في
التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض
في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان
ذلك صلاحا للعامة والخاصة ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه
باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة
أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا حتى تكون حجرا صلدا أكانت تنبت
هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء أفلا ترى كيف
نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد
ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب
فلم جعل الله كذلك إلا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك
إلى البحر وكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه كذلك جعل مهب
الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا
على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء
لولا كثرته وتدفقه في العيون والأودية والأنهار لضاق عما يحتاج الناس إليه
لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب

ما يرده من الحس والمطر والسباع ويتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع
اخر لا يحصيها عارف ومن عظم موقعها انما لو فارقه سوى الامر الجليل المعروف من غنائه
في حياة جميع ما على الارض من الحيوان والنبات يمزج بالاشربة فيلين ويطيب لشاربها وبه
ينظف الابدان والامتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعمال وبه
يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس على المكروه وبه يستحم المتعب
الكال فيجد الراحة من اوصابه الى اشباه هذا من المآرب التي يعرف عظم
موقعها في وقت الحاجة اليها فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في
البحار وقلت ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف مضطرب ما لا يحصى من اصناف السمك و
دواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر و
في سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب الناس
ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين الى
العراق ومن العراق الى العراق فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت
وبقيت في بلدانها وايدي اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد
لحملها وكان يجتمع في ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها
والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته

لا

لاختنق هذا الانام من الدخان والبخار التي تتحير فيه وتعجز عما يحول الى السحاب و
الضباب اولا اولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار ايضا كذلك فانها لو
يكن مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها في
الاحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الاجسام تلتمس عند الحاجة
اليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة
والحطب فتعظم المؤونة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على
تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى
وهي انها مما خص الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه لو فقد النار
لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها
ولما قدر الله عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفا واصابع مهياة لقدح النار
واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش
لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الانسان وانبئك من منافع النار على خلقة صغيرة
عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما
شاؤوا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة من في
القبور فمن كان يستطيع ان يكتب او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال

من عرض له وجع في وقت من اوقات الليل فاحتاج الى ان يعالج بضماد او سعوط
او شيء يستشفي به فاما منافعها في نضج الاطعمة ودفاء الابدان وتجفيف اشياء
وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من ان تحصى وظاهر من ان يخفى فكر يا مفضل
في الصحو والمطر كيف يتعقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما
عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر
واسترخت ابدان الحيوان وخصر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض وفسدت
الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات وغيض
ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا
اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل
واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشياء واستقامت فان قال قائل ولم لا يكون في
شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الانسان ويولمه بعض الالم فيرعوي
عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم
طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك اذا طغى واشر احتاج الى ما يعضه ويولمه ليرعوي
ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم في
اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم عنده ويذهب له به الصوت

فان

فاين هذا من مطرة رواء يعم بها البلاد ويزيد في الغلات اكثر من قناطير الذهب والفضة
في اقاليم الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم النعمة على الناس
فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت احدهم عن حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط ايثارا
للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة
فيها تامل يا مفضل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو
ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا
على المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا
اقل من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض وربما تزرع هذه البراري الواسعة و
سفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من
البلدان مؤونة سياق الماء من موضع الى موضع وما يجري في ذلك بينهم من
التشاجر والتظالم حتى يستاثر بالماء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم انه حين
قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر
الارض فيرويها ولو كان انسكب انسكابا كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها
ثم كان يحطم الزرع القائمة اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت
الحب المزروع ويحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا مصالح اخرى فانه

تلين الأبدان ويحلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على
الشجر والزرع من الداء المسمى اليرقان إلى أشباه هذا من المنافع فإن قال قائل
أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع أو برد يكون
فيه تحطم الغلات قيل بل قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن
ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزى
في ماله انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي قد يحسبها
الغافلون فضلا لا حاجة إليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك أن يسقط عليها
الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ما ذاب منه فيجري منه العيون الغزيرة
التي تجتمع منها الأنهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت
مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية ويتخذ فيها
الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء
ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها
في سابق علمه فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص
والكلس والجبس والزرانيخ والمرتك والقونيا والزئبق والنحاس والرصاص
والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما

يخرج

يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس
في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه
الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من
صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة
سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا يكون
لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان
الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من
النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة وأشباه ذلك
مما لا مضرة فيه فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان
ضارا لهم لو نالوه ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير
لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة تفكر الآن في
هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يري العباد قدرته وسعة خزائنه
ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنه لو
يكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بأنه
قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزا قليلا

فهو نفيس جليل اخذه الثمن واذا فني وكثر في ايدي الناس سقط عندهم وقيمة
ونفاسة الاشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذه النباتات وما فيه من ضروب المآرب
فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من انواع التجارة
وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع ارايت
لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان
الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان كان الغذاء موجودا فان
المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها
هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر
العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة
تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز ان تكون الحبة تاتي بمثلها فلم صار
يريع هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت
الزراع الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد عمارة بلد كان
السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم فانظر
كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج
اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل

حوله من فراخه امر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه
في مآربهم وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ
ولا يريع لما امكن ان يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة
انقطع اصله فلم يكن منه خلف تامل نبات هذه الحبوب من العدس والماش
والباقلى وما اشبه ذلك فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها
وتحجبها من الآفات الى ان تشتد وتستحكم كما قد تكون
المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه واما البر وما اشبهه فانه
يخرج مدرجا في قشور صلاب على رؤسها امثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه
ليتوفر على الزراع فان قال قائل اوليس قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له
على هذا قدر الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له
فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن
فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شيء
يحول دونه لاكب عليه حتى ينسفه اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت
ويخرج الزارع من زرعه صفرا فجعلت هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئا يسيرا
يتقوت به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به

وكان النخل يحتاج اليه كثيرا مما يحتاج الى الظل تأمل الحكمة في خلق الشجر واصناف
النبات فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه
كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض
لتنزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الارض
كالام المربية لها وصارت اصولها التي هي كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها
الغذاء كما يرضع اصناف الحيوان امهاتها الم تر الى عمد الفساطيط والخيم كيف
تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله
له عروق منتشرة في الارض الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كانت تثبت
هذه النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر الى حكمة الخلقة كيف
سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم
الا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة تأمل يا مفضل خلق
الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ
ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو
كان مما يصنع بالايدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة في عام كامل
ولاحتيج الى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في ايام قلائل من

الربيع

الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا كلام الا بالارادة
النافذة في كل شيء والامر المطاع واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق
فانها جعلت تتخلل الورقة باسرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق
المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي الغلاظ منها معنى آخر
فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنتهك وتتمزق فترى الورقة
شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في عرضها وطولها
لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وان كانت لا تدركها على حقيقتها فكر
في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان
عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في مواضع
اخر فان حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ثم هو
بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت
واسرع اليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد
تبين لك موضع الارب في العجم والنوى فكر الآن في هذا الذي تجده فوق
النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة وما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه
الهيئة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السرو

والدليل وما اشبهه ولك فلم صار يخرج فوقه هذه العظام الممتدة ليمتنع بها
الانسان فكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك تراه تموت في كل سنة موتة
فتحبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر فياتيك
بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم لك انواع الاخبصة التي تعالج بالايدي
واحدا بعد واحد فترى الاغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كانها تناولكها
عن يد وترى الرياحين تتلقاك في افنانها كانها تجيئك بانفسها فلمن هذا التقدير
الا لمقدر حكيم وما العلة فيه الا تفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من
اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها
من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم في نواحيها
وحبا مرصوفا صفا كنحو ما ينضد بالايدي وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها
ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم ذلك كله فمن
التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك
ان الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان
اصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب
وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير

ماهو

من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذريع في الكلام ولكن فيما
ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل
هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فانه
حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب قائما
كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف
قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي
عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشا للارض وثماره
مبثوثة عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع منها وانظر
كيف صارت الاصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها
النفوس بانشراح وتشوف اليها ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس
كراهة لها واقشعرارا منها مع ما يكون فيها من المضرة للابدان الا ترى انه ربما ادرك
شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لا يمتنع من اكل
ما يضره ويستوخم مغبته فكر يا مفضل في النخل فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح
جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي
يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل تامل خلقة الجذع كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجا

من غير خيوط ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالايدي
وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف من حمل القنوان الثقيلة وهز الرياح العواصف
اذا صار نخلة وليتهيا للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا وكذلك
ترى الخشب مثل النسيج فانك ترى بعضه مداخلا بعضا طولا وعرضا كتداخل
اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الالات فانه لو كان
مستحصفا كالحجارة لم يمكن ان يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة
كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه
يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا
هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والاطراف تحمل امثال الجبال من الحمولة وانى كان
ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد وكانت تعظم
المؤنة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في بعض البلدان مفقودا اصلا او
عسر وجوده فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض
الادواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف
المرة السوداء مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه
هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس

لها الا من جعل هذا فيها ومتى كان توقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال
قائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه وروية وتجاربه فالبهايم
كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحة ان اصابته ببعض
العقاقير فيبرا وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا كثير ولعلك
تشك في هذه النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا انس ولا انيس
فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف
للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد اشياء تعالج به الابدان
واخرى تدبغ به الجلود واخرى تصبغ به الامتعة واشباه هذا من المصالح
الست تعلم ان من اخس النبات واحقره هذا البردي وما اشبهها ففيها مع هذا
ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة
والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه الغلف التي يوقى به الاواني ويجعل
حشوا بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع
فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له واخس
من هذا واحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها
من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى ان كل شيء من الخضر

لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه
واعلم انه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان
الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشي لصغر قيمته
فلو فطنوا طالبوا الكيميا لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها قال
المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكر الي غدا ان شاء الله تعالى
فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما اتانيه حامدا لله على ما منحنيه فبت
ليلتي مسرورا **المجلس الرابع قال المفضل رحمه الله** فلما كان اليوم الرابع
بكرت الى مولاي فاستؤذن فامرني بالجلوس فجلست فقال منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس
للاسم الاقدم والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام ومنشئ الانام ومفني
العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون
وصلوته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فعليه وعلى اله
من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة
والبركات في الماضين والغابرين ابد الابدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقوه
وقد شرحت لك يا مفضل من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان

والحيوان

والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الان
الافات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال ذريعة الى جحود الخلق
والخالق والعمد والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما
انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان كون الاشياء
بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذ
اناس من الجهال هذه الافات الحادثة في بعض الازمان كمثل الوباء واليرقان
والبرد والجراد ذريعة الى جحود الخلق والتدبير والخالق فيقال في جواب ذلك انه
ان لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو اكثر من هذا وافظع فمن ذلك ان تسقط
السماء على الارض وتهوي الارض فتذهب سفلا وتتخلف الشمس عن الطلوع اصلا
وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء
وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم هذه الافات التي ذكرناها من الوباء
والجراد وما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث
في الاحايين ثم لا تلبث ان ترفع افلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث
الجليلة التي لو حدث عليه شي منها كان فيه بواره ويلذع احيانا بهذه الافات
اليسيرة لتاديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الافات بل تكشف عنهم عند القنوط

سنهم فيشكون ويوقعها بهم موعظة ويكشفها عنهم رحمة، وقد اكثرت المعطلة ذكر الشناعة
من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فجعلوها يقولون ان كان للعالم خالق
رؤوف رحيم فلم يحدث هذه الامور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب الى انه
ينبغي ان يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر، ولو كان كذا
كان الانسان سيخرج من الاشر والعتو الى ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي
ترى كثيرا من المترفين ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون بالبطر حتى ان
احدهم ينسى انه بشر وانه مربوب وان ضررا يمسه وان مكروها نزل به وانه يجب عليه
ان يرحم ضعيفا او يواسي فقيرا او يرثي لمبتلى او يتحنن على ضعيف او يتعطف على
مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيرا مما كان جهله وغفل
عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان
الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويتسخطون المنع من الاطعمة الضارة ويكرهون
الادب والعمل ويحبون ان يفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب
لا يعرفون ما يؤديهم اليه البطالة من سوء النشو والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة
الضارة من الادواء والاسقام وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من
المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهة فان قالوا فلم لم يكن الانسان معصوما من المساوي

حتى

حتى لا يحتاج الى ان يلذعه بهذه المكاره قيل اذا كان يكون غير محمود على حسنة
ياتيها ولا يستحق الثواب عليها فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون محمودا
على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذة قيل لهم
اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل ان يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج اليه بلا سعي ولا
استحقاق فانظر هل تقبل نفسه ذلك بل ستجده بالقليل مما يناله بالسعي والحركة اشد
اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله بغير استحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضا
يكمل لاهله بان ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب
مضاعفة فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل الى ان
ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا
اوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة في
منع من رضي ان ينال النعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لو صح للناس
لخرجوا الى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان
يكف نفسه عن فاحشة او يتحمل المشقة في باب من ابواب البر لو وثق بانه
صاير الى النعيم لا محالة او من كان يامن على نفسه واهله وماله من الناس
لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا

قيل ان حسن فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير
بخلاف الصواب ووضع الامور غير مواضعها وقد يتعلق هولاء بالافات التي
يصيب الناس فتعم البر والفاجر وتبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف
يجوز هذا في تدبير الحكيم واما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الافات وان كانت
تنال الصالح والطالح جميعا فان الله جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما اما الصالحون
فان الذي يصيبهم من هذا يردهم نعم ربهم عندهم في سالف ايامهم فيحدوهم ذلك
على الشكر والصبر واما الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن
المعاصي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك اما
الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة
واما الفجار فانهم يعرفون رافة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم
ذلك على الرافة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول ان هذه الافات
التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم
كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له ان الله جعل في هذا ايضا صلاحا
للصنفين جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها
والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن

الازدياد

علمه بوجود النفس لا يوجب ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الامور الروحانية اللطيفة
فان قالوا فانتم الان تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كانه غير معلوم
قيل لهم هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة اخرى
اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى
على احد وهو من جهة كالغامض لا يدركه احد وكذلك العقل ايضا ظاهر بشواهده
ومستور بذاته واصحاب الطبائع فقالوا ان الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه
تمام الشيء في طبيعته وزعموا ان الحجة تشهد بذلك فقيل لهم فمن اعطى الطبيعة هذه الحكمة
والوقوف على حدود الاشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول
التجارب فان اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الافعال فقد اقروا بما انكروا
لان هذه هي صفات الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بان
الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة انكروا العمد والتدبير في الاشياء
وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الايات التي تكون على غير
مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا او زائدا اصبعا او يكون المولود
مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض
كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض

والاتفاق انما هو شيء يأتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها
وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دائما متتابعا وانت يا مفضل
ترى اصناف الحيوان يجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله
يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على خلاف ذلك فانه
لعلة يكون في الرحم او في المادة التي ينشوا منها الجنين كما يعرض في الصناعات
حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الاداة او في
الالة التي يعمل فيها الشيء وقد يحدث مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي
وصفنا فياتي الولد زائدا او ناقصا او مشوها ويسلم اكثرها فياتي سويا لا علة فيه فكما ان
الذي يحدث في بعض الاعمال الاعراض لعلة فيه لا يوجب عليها جميعا الاهمال وعدم
الصانع كذلك ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب ان يكون
جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء ان كونها بالعرض والاتفاق من قبل
ان شيئا منها ياتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ وخطل فان قالوا ولم صار مثل
هذا يحدث في الاشياء قيل لهم ليعلم انه ليس كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن
ان يكون سواه كما قال قائلون بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة
تجري اكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ويزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض

لها فيستدل بذلك على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته في بلوغ
غايتها واتمام عملها تبارك الله احسن الخالقين يا مفضل خذ ما اتيتك واحفظ ما منحتك وكن
لربك من الشاكرين ولالائه من الحامدين ولاوليائه من المطيعين فقد شرحت لك
من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزءا من كل
فتدبره وفكر فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي اقوى على ذلك وابلغه ان شاء الله
فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشيا علي فلما
افقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتاييده عن الكتاب
الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كانما اقراه من كفي فلمولاي الحمد والشكر كما هو اهله ومستحقه
فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع اليه ذهنك وعقلك وطمانينتك فالقي اليك من علم
ملكوت السموات والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم
ومقاماتهم ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة
السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزاء انصرف اذا شئت مصاحبا
مكلوا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من
الصدى ولا تسئلن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت
من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله والحمد لله رب العالمين
تمت في يوم خمسة عشر شهر ذي قعدة الحرام
سنة ثلث وستين ومائتين بعد
الالف من الهجرة [illegible]

